

الثَّقَافَةُ

مجلة شهرية فكرية جامعة تصدر في دمشق

.. تأسست عام ١٩٥٨م ..

شوال ١٤٢٤ هـ

كانون أول ٢٠٠٣ م

الثقافة

أدبية فكرية جامعة

تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

FONDATEUR ET REDACTEUR

EN CHEF DE LA REVUE AL

THAKAFA

ص . ب / ٢٥٧٠ /

هاتف : ٢٣٢٣٠٦١

دمشق

P.O. BOX: 2570

TEL_ FAX : 2320887

هيئة المستشارين :

د. عبد اللطيف اليونس

د. ابراهيم كيلاتي

د. أمين أسبر

د. عمر النص

د. سمر رويحي الفيصل

أ. عبد الكريم ناصيف

أ. جابر خير بك

أ. عصام الحلبي

أ. نعمان حرب

أ. محمد خالد القطمة

أ. عيسى فتوح

شبكة كتب الشيعة

أمانة التحرير : سكيينة عكاش الغبرة

شوال ١٤٢٤ هـ

كانون الأول ٢٠٠٣ م



shiabooks.net

رابط يدیل < mktba.net

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

٣	أ. أحمد شوحان	الشعاري شاعر وفقهه
٩	د. سعاد الصباح	ثورة الدجاج المجلد
١١		تكريم الأديب والباحث المغربي عبد الكريم غلاب
١٥	أ. عيسى فتوح	وديع فلسطين يتحدث
		عن أعلام عصره
١٧	د. محمد الحسواني	ديمة..
٢١	أ. شحادة الخوري	ثقافتنا العربية بين الأمس واليوم
٣٠	حسان الصاري	أنا والشعر..
٣٣	محمد علي سرحان	عمر أبو ريشة
٤١	عبد المجيد عرفة	حنين إلى الذكريات
٤٤	يوسف عبد الأحد	الأديب الدكتور عبد اللطيف اليونس
٤٨	نظير جابر	يا بيتها!
٥٠	هالة سليمان الأسعد	المنظومة الفكرية في الحضارة العربية
٥٢	أحمد سعيد هواش	الوطن والطبيعة في ديوان "أغنيات قلب" للشاعرة مقبولة الشلق
٥٥	أسامة معلّ	من دفاتر كانون
٥٦	محمد عيد الخربوطلي	المبرد وكتابه التعازي والمراثي
٦١	لسان الدين بن الخطيب	يا زمان الوصل

فوق تل ترابي على ضفة نهر الفرات
اليمنى، وعلى بعد ٦٠/ كيلو متراً جنوب
شرقي مدينة دير الزور؛ نامت مدينة (تيرقا)
منذ أربعة آلاف عام، وبنت حضارة عربية
نزحت من الجزيرة العربية منذ نزحت قبيلة
(خانا) العمورية. وأصبح اسمها في العصر
الإسلامي (العشارة).

وأصبحت هذه القبيلة مملكة بعد أن
هدم حمورابي مدينة (ماري) حيث برز اسم
(تيرقا) في المنطقة. فأقامت علاقات وطيدة مع
المدن السورية الأخرى، وحكمها عدد من
الملوك الكاشيين بعد زوال مملكة بابل، ثم تبدل
اسمها في العهد الآشوري إلى (سيرقو)
وصارت عاصمة لمقاطعة آشورية تدعى
(لاقي)، عثرت البعثتان الفرنسية عام ١٩٢٣
والأمريكية منذ عام ١٩٧٦ على كثير من
اللقى الأثرية واللوحات المسمارية والأسلحة
البرونزية، والتماثيل الفخارية، حيث عرضت
في متحف دير الزور وحلب.

كانت (العشارة) أهلة بالسكان في
عصري الفاطميين والأيوبيين، لكنها تردت في
العصر العثماني فأصبحت تابعة لـ (الرحبة)
التي انقلب اسمها إلى (الميازين).

وكما اشتهرت برجالها أيام الملك
(كبري داغان) منذ خمسة آلاف سنة تقريباً،
فقد اشتهرت برجالاتها منذ ألف عام. كل واحد
منهم يعرف بـ (العشاري) نسبة إلى بلدة
(العشارة) التي بدأ دورها الثقافي يتقلص في
القرن الحادي عشر الهجري، إذ نزح معظم
أهلها إلى بغداد ومناطق أخرى نتيجة هجمات
الأعراب العشوائية، واستباحتهم ونهبهم للقرى
والمدن الفراتية.

وقد تحدث عن العشارة خلال تلك
الفترة المضطربة من الفوضى السيد نعمان

العشاري

شاعر

وفقيه

بقلم:

أ. أحمد شوحان

قليلة هي المراجع والمصادر التي تحدثت عن هذا الأديب الذي ترك لنا الكثير من الشعر الذي تحدث في أغلبه عن حياته الطويلة، ومعاناته اليومية، وما آل إليه أمره في بغداد من سوء حال، بعد أن كان أباه في حبس عيش قبل نزولهم فيها، كما أن المعلومات عن أسرته قليلة أيضاً، لكن هذا القليل يحدثنا عن هويته وأرومته، فهو عربي النسب، وترجع جذور قبيلته إلى قبيلة (مذحج) القحطانية، وقد نزحت عائلته لظروف قاهرة قبيل ولادته، حيث ولد الشاعر (حسين بن علي العشاري في بغداد سنة ١١٥٠هـ - ١٧٣٧م)، وكان أبوه الشيخ علي بن حسن (ملاً) ممن يعلم العلوم الدينية.

وقد شغف ولده حسين بالعلم منذ صغره، فقد أخذ عن أبيه وعن علماء بغداد، وأولع بال النحو واللغة والأدب، ثم انكب على الفقه فقرأ كثيراً عن فقه الإمام الشافعي، مما جعل معاصريه يطلقون عليه لقب (الشافعي الصغير) وذلك لسعة إطلاعه وغوصه في معضلات الفقه الشافعي، كما قال الآلوسي.

وأولع بالخط العربي، فنبع في أنواعه، ورسمه، فنسخ عدداً من كتب اللغة والأدب والمنطق والفقه وغيرها، وبهذا يكون خطاطاً ووراقاً، فهو يقات من الوراقة، ويعلو كعبه في الخط فيكون من كبار الخطاطين في بغداد، الذي جودوا الخط وحسوته، وخط عدداً من الدواوين الشعرية التي لا تزال موجودة في خزائن الكتب الخاصة والعامة في بغداد وغيرها، حتى أن الآلوسي رغم جلالته قدره قد اعتبره ممن سبق غيره في هذا الفن فقال:

الآلوسي في كتابه (حديقة الورد) إذ نوّه عن أثر هجمات الأعراب على هذه البلدة الوادعة، مما دفع العلماء والشعراء للهجرة عنها فقال: (إنها لم تزل مسكونة، إلا أن الدهر قد أنكحها الخراب فافترشها، ويكاد يولدها الغربان والبوم، وأغرى بها ظلم الأعراب فافترسها، ويوشك أن لا يبقى منها إلا الأطلال والرسوم).

علماء عشاريون

لقد برزت أسماء لامعة في كتب التراجم، تظهر التقدم العلمي والثقافي الذي بلغتاه هذه البلدة منذ عصر التابعين، ولمدة ألف عام.

من هؤلاء العلماء والأدباء:

محمد بن علي العشاري: ذكره السمعاني في مادة (العشاري) الذي ولد سنة ٣٦٦هـ وتوفي سنة ٤٥١هـ وقد أخذ عن علماء عصره وأخذ عنه علماء كبار.

علاء الدين علي بن عبد الله العشاري.

وأحمد بن أحمد بن ظاهر العشاري الشافعي العراقي، وعمر زامل العشاري، وعبد اللطيف عبد الرحمن الشافعي العشاري البغدادي، المدرّس في مدرستي العمريّة والزهدية ببغداد والمتوفى سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧١م.

ومنهم الشاعر والأديب أبو عبد الله (حسين بن علي العشاري البغدادي الشافعي) الذي كان عالماً عالماً، والذي لا نكاد نجد لغيره من العشاريين أثراً مخطوطاً، ولم يطبع لغيره ديوان محقق بعناية علماء أجلاء.

(كان له خط يعجز ابن مقلة) رغم أنه يعاني من ضعف في إحدى عينيه لأنها كانت كليلية. لقد نبغ العشاري ففاق أقرانه، لن معاصريه حسدوه، وحاولوا مراراً النيل منه، وهدم أركانه، بل كان من سوء طالعته عند المؤرخين والمترجمين أنهم أخطأوا في نسبة من ينتسب لـ (العشارة) بل ويجهلون حتى موقعها الجغرافي. فهل كان حظه عاثراً إلى هذه الدرجة، أم أنه عاش مغموراً بين أهل الرفاه والنعمة؟

بعض شيوخه

رغم قلة المراجع عن هذا الشاعر، إلا أننا نستطيع أن نعرف بعض شيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم، وصقل مواهبه بسببهم. أخذ عن عالم العراق وأديبه الشيخ جمال الدين عبد الله بن حسين السويدي البغدادي، المتوفى سنة (١١٧٤هـ - ١٧٦٠م) الذي تصدر في داره للتدريس، كما درس في حضرة الإمام أبي حنيفة، ومقام الشيخ عبد القادر الجيلاني، وفي المدرسة المرجانية (جامع مرجان) كما أخذ العلم عن ابنه العلامة الشيخ عبد الرحمن السويدي المتوفى سنة (١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م) وكان العشاري أكبر منه بأكثر من عشر سنين، حيث غلب عليه الفقه حتى كان يسمى: الشافعي الصغير، ففاق معاصرين، وسبق أقرانه.

الشاعر البائس

تحدث العشاري في مقدمة ديوانه عن الحالة البائسة التي وصل لها، فقال: (وإلى الله المشتكى من زمان، إذا أمر بنائية حرّض، وإذا نظر إلى كريم أعرض، وإذا جرح ذفف، وإذا قتل أسرف، ينظر إليّ شزراً، وينفق عليّ نزرأ، ويرهقني من أمري عسراً).

ونتيجة لهذا الضيق الذي لا يتوقع بعده فرجاً، سئم الحياة في بغداد، لأنه عانى فيها الفقر والبؤس، فاستشهد بقول الطغرائي في مقدمة ديوانه:

فيم الإقامة في الزوراء لا سكني

بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وأنى لي بالشخص عن مزورة الأحداق، سيئة الأخلاق، مرة المذاق، العراق، وما أدراك ما العراق، أهلها أهل نفاق وشقاق..

ثم أنشد يقول:

ما المجد في الكرخ مقيماً ولا

طوق العلى في جيد بغداد

لقد عاش في بؤس وفقر مدقع، وعبر عن ذلك فيما نظمه من شعر حواه ديوانه، فبث أحزانه في قصائده الدينية والأدبية، وعاش عيشة الكفاف، دون أن تكون له موارد ثابتة، مما جعله يلجأ إلى تعليم الأطفال مبادئ القرآن والعربية والحديث، ليقف بما تدرّسه عليه هذه المهنة (الملا).

وقد وصف حالته البائسة في شعره فقال:

وما فيك غير الفقر عيب وإنما

يُعاب الفتى لوماً ولو كان ذا جدّ

ولا شك أن المال غاد ورائح

وأن فخار المال من شيمة الوغد

لقد أبى إباؤه أن يسأل أحداً، فانكب على نسخ الكتب (مهنة الوراق) رغم فقده البصر بإحدى عينيه، ففي اليوم الذي لا ينسخ

فيه لا يكاد يشبع بطنه، فقد شكى برداً داهمه
وجعله يتوقف عن نسخ الكتب:

فجاءنا بردة شديدة قرء

ما لفتى من بأسه مفرء

أشَلَّ مِنَّا الكف والأصابع

وأخرس الألسنة المصاقع

ثم انقضت أيامه المتسقة

وما كتبنا منه خمس ورقه

ونتيجة لهذا الفقر الذي ألزمه الأرض
وجعله يستف التراب، راح يستغيث بالصحابه
والصالحين عسى أن يخرجوه من تلك الهوة
التي سقط فيها ولم ينهض، فقد استغاث
بالصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه
فقال:

وامدد بفضلك أطفالي وكن لهم

دخراً وحصناً بدنينا وأخراها

وقد سألتك يا كنز الفقير ولم

أدر لغيرك يا مولى الندى فاها

بل استغاث بأمير المؤمنين علي بن
أبي طالب رضي الله عنه، وشكى في تلك
الاستغاثة ما ألم به من كرب وضيق، وما حاق
به من فقر وحرمان:

حططت بباب عزك يا ملاذي

رحال الهم والكرب الشديد

جفاني الأهل والإخوان طراً

وأعرض صحابي وعصى حفيدي

ومالي عند بابك من شفيح

سوى المسموم والبطل الشهيد

بجاهك يذهب الرحمان كربي

فإن الحبل ضاق على النور

مدح وندم

حين نستعرض ديوان العشاري، نجده
كغيره من الشعراء يمدح ويذم، ويهجو
ويتغزل، ويحن إلى وطنه، ويبكي على الأطلال،
ثم ينعي مصائب عصره. ومدح واليين من
ولاية بغداد هما: سليمان باشا الذي تولى ولاية
بغداد سنة (١١٦٢هـ - ١٧٤٩م) وتوفي
سنة (١١٧٥هـ - ١٧٦١م) عن ٦٦ سنة.

وعمر باشا الذي تولى ولاية بغداد
سنة (١١٧٧هـ - ١٧٦٣م) وعزل لسوء
أخلاقه وقتل سنة (١١٨٩هـ - ١٧٧٥م).

لكن مدح العشاري لهذين الواليين لم
يكن للتكسب، بل لما أسدياد من أعمال جليلة،
كبناء مرقد لأحد الأولياء، أو القضاء على
بعض الفتن، وهذا المديح لا يزيد عن أبيات
معدودة، لأن تصوفه وانتسابه للطريقة
الصوفية العيدروسية، جعله يمدح بعض
وجهاء العائلات والأسر بما يزيد عما مدح به
هذين الواليين.

والذي يبدو لنا من خلال قراءة ديوانه
أنه كان يمتاز بنفس أبيّة ترفض الذل وتأبى
الضيم والقهر، فلم يرد عنه تردد على حاكم،
أو تقرب من مسؤول في الحكم، بل نرى
العكس في ذلك، فقد كان يذم بعضهم ويشكو
ظلمهم، الأمر الذي جعله يعيش بعيداً عن
وظائف الدولة، ويفقد حظوتها.

إنه يشكو في مقدمة ديوانه عن سوء
تصرف المسؤولين في زمانه فيقول: "مع
أني في زمان تبا له وتب، ما أحقه أن يرى أبا
لهب، قد أصلى أهله بنار ذات لهب، قدّم كل
ركبك ضعيف، ورأس كل دني سخي، وأذل
كل سري شريف".

تلاطم بحر الجور بعد اغتياله

وضاق بنا من بعده المنزل الرحب

إذا الأسد الوردي أصبح هالكاً

لعمرك فليحكم بما شاءه الكلب

لقد نظم العشاري هذه القصيدة
الجريئة، وكان يقيم في بغداد التي يحكمها
عمر باشا، وقد نال هذا الوالي بعض ثناء
وإطراء العشاري من قبل.

وكانت تربط العشاري بأمرأء وشرفاء
مكة روابط وثيقة، تنم عن حبهم للأدب
والشعر، وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ.

آثاره

كتب العشاري عدداً من المؤلفات، لكن
أشهرها كان ديوانه المطبوع، حيث تفنن في
القصائد التي أعجبت من نظم غيره فقام
بتشطيرها وتخميسها وتشجيرها وتعشيرها.

والمتتبع لشعر العشاري يجد أن شعره
في الثناء والمدح قد بلغ أكثر من أربع
أخماس ديوانه، وذلك في مدحه آل الشاوي،
وآل الفخري، وغيرهم.

ونستطيع أن نضيف إلى مؤلفاته شعراً
ونثراً تلك المجموعة من الكتب التي خطها، إذ
كان خطاطاً بارعاً بفنون الخط وقواعده، وقد
اعتبره معاصروه نداً لابن مقلة.

من تلك الكتب التي استطعنا أن نحصل
عليها مخطوطة، أو نحصل على أسمائها في
بطون الكتب ما يلي:

١- (حزب الأوقات وورد الساعات)

جمع فيه جملة من الأدعية والأذكار
والأحاديث وبعض القصائد، وقد أملاه ببغداد
في الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة
١١٨٤هـ وسمّاه عمر رضا كحالة (الأوراد).

٢- (ديوان شعر).

ويصف العشاري حكام زمانه
بالقسوة، وينعتهم بأقبح النعوت، حتى يقول
فيهم: فتية مرّدة، كأنهم خنازير أو قردة،
قلوبهم طاغية، وأيديهم باغية، وألسنتهم
لاغية.. جماعة كبيرها صغير، ورئيسها حقير
ودنيها أمير، وشريفها أسير.

حقاً لقد كان الشاعر العشاري ناقماً
على ذوي الجاه والحكم والسلطان في بغداد،
ولكنه تقرب إلى بعض الشخصيات التي كان
دورها بارزاً في الحكم مثل:

عبد الله الأعرجي الحسيني المعروف
بالفخري، الذي كان كاتباً لديوان الإنشاء في
بغداد، فنال الفخري شيئاً من مديحه والثناء
عليه. فلما مات الفخري وتولى منصبه ولده
من بعد، مدحه العشاري لطيب أخلاقه وحسن
معاشرته.

وكانت تربطه صداقة وثيقة مع أسرة
عبد الجليل بك أحد أمراء الحلة في عصره،
ومع نائب الفتوى في الحلة صديقه الشيخ عبد
الله بن عيسى.

ومع آل الشاوي أمراء قبيلة العبيد،
وشيوخ البادية في وسط العراق.

وحينما قتل عمر باشا والي بغداد
الأمير عبد الله الشاوي غدرًا وقام أبنائوه للأخذ
بثأره؛ نظم العشاري قصيدة ذم فيها الوالي
الذي مدحه بالأمس فقال:

مصائب سوء وافت الناس بغتة

فضلوا ولم يدرؤا الضلال من الرش

وخطب جليل أدهش العقل رزوه

أتانا عيلى كره وجاء بلا وعد

لقد أظلمت دار السلام لفقده

وأصبح منها الشمل منتثر العقد

ويصب العشاري نار غضبه على هذا

الوالي الظالم فيقول:

عاش العشاري بين بني جنسه غريباً، ليحافظ على كرامته وطهارة ذيله، لذلك لاقى من الفقر والتناسي والحاجة كثيراً، بل شعر بالذل في بغداد رغم أنها مسقط رأسه، مما جعله يحن إلى مسقط رأس أبيه (العشيرة) ذات الذكر الحسن، والخير العميم، والجذور الأصيلة التي لم تنوثرها مدنية المدن، ولا تكالب الناس في المدن على الجاه والمال والمنصب الرفيع، فكان يحن إلى بلدة العشيرة وأهلها، ويذكر ذلك في شعره:

سقى الله تلك الدار هامية القطر
مدى الدهر ما ناح المطوق والقمر
وعم دياراً قد عفى الآن رسمها
على أنها في الناس طيبة الذكر
وأحيا به روض (العشيرة) كلما
تحدّر دمع من جفون على صدر
عليها سلام الله ما اخضر مورق
وفاح الشذا من شعبها الطيب الذكر
وضاق العشاري ببغداد ذرعاً، فانتقل منها إلى البصرة ليعمل في التدريس والقضاء، وذلك سنة (١١٩٤هـ - ١٧٨٠م).

وفاته

لم تطل مدة مكثه في البصرة إذ عاجلته المنية فتوفي فيها في أواخر سنة (١١٩٥هـ - ١٧٨٠م). وهكذا طويت صفحة حياة هذا الشاعر الذي عاش حياته فقيراً بانساً في مسقط رأسه بغداد، تاركاً لنا تراثاً أدبياً مبعثراً لم تتناوله أقلام الباحثين في التحقيق والدراسة إلا قليلاً، فجمعوا تلك النثف في وريقات قليلة أطلقوا عليها بعد التحقيق (ديوان العشاري). رحم الله الشاعر العشاري في غربته.

قال عنه الزركلي: فيه الغث والسمين، وبين إسماعيل البغدادي أن شعره قد تناول مدائح النبي ﷺ والصحابة وآل البيت. وبعد تحقيق المخطوطة من الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ووليد الأعظمي، وساعدت جامعة بغداد على نشره عام ١٩٧٧ نجد أنه مدح ولاية بغداد ووجهاء قبائل وشخصيات أخرى.

٣- (الأبحاث الرفيعة في الرد على الشيعة).

فرغ من تأليفه سنة ١١٩٤هـ وهو يبحث في الخلافة والإمامة، وسمّاه الأستاذ محمد بهجت الأثري باسم (رسالة من مباحث الإمامة).

٤- (حاشية على شرح الحضرمية) مخطوط.

وهي في الفقه الشافعي، كتبها على شرح الحضرمية لابن حجر الهيتمي.

٥- (تعليقات على جمع الجوامع) مخطوط.

وقد كتبه العشاري حاشية في أصول الفقه، وهي من تأليف عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة (٧٧١هـ).

٦- (تنقيح المديح لصاحب الوجه المليح).

٧- (تخميس البردة).

٨- (مجموعة أدبية).

جمع العشاري هذه المجموعة في جزأين، الأول: رسائل معاصريه. والثاني: جمع فيه جملة من رسائله التي أرسلها إلى شرفاء مكة المعاصرين له، ورسائل في أغراض مختلفة، وتقاريف.

٩- (قصيدة في مدح النبي ﷺ).

وهي قصيدة طويلة كما يقول إسماعيل البغدادي.

١٠- له تعليقات على كثير من كتب النحو، ذكرها الباحث محمد بهجت الأثري رحمه الله.

ولعل للعشاري غير ما عثر عليه الباحثون، وهذا ما نتمناه لهذا العالم الذي عرفنا عنه الكثير من خلال تحقيق ديوان واحد من مؤلفاته، فكيف لو حققت جميع مؤلفاته، أو عثر له على مخطوطات أخرى.



ثورة الدجاج المجلد

شعر: د. سعاد الصباح

وللقاصرات اللواتي اشتريت صباهن..
مثل البذار.. ومثل الحقول..
سأصرخ:
باسم العذاري اللواتي
تزوجتهن..
وطلقتهن..
كما تشتري، وتباغ الخيول!!
أيا عاشقا..
لا يفرق في لعبة الحب
ما بين لحم النساء..
وما بين لحم العجول..
سأصرخ:
حتى سقوط السماوات..
فوقي، وفوقك.. يا سيدي
ولن أراجع عما أقول..
أيا قادما..
من كتاب الغبار
بعينيك، ألمح عصر الممالك حيا
والمخ سوق الجواني..
تصرف..
كما كان يوما جدودك..
يستملكون النساء..
كأي عقار..

سأعلن باسم سعاد
وهند
ولبنى
وباسم بتول
سأعلن باسم ألوف الدجاج المحلّد..
باسم ألوف الدجاج المقلب
أنني خنقتك تحت صفائري شعري
وأنني شربت دماءك مثل الكحول
ولن أراجع عما أقول..
سأرمي إلى البحر
قصان يومي..
وأحرق كل المراكب قبل الوصول
سأعلن - يا أيها الديك -
أنني انتقم
لكل نساء العشيرة منك
وأنني طعنك..
مثنى..
ثلاثا..
رباعا..
وأن دفنتك تحت الطلوع..
ولن أراجع عما أقول..
سأثار..
للحائرات، وللصائرات..





تصرف..
ككل رجال القبيلة..
غزوا.. وفتكا..
وكرأ.. وفرأ..
فليس بتاريخ جهك.. شيء جديد..
تصرف..
كأي ابن أوى
فلن تتمكن من أكل لحمي
ومن جز صوفي..
فجسمي أرض حرام..
وعقلي ثلجة للجلد..
تصرف..
كذنب يجيد ثلاث لغات
فلن تستطيع اختراق حصوني
ولن تستطيع احتواء جنوني
ولن يستطيع جنودك
أن يشربوا قطرة
من سواد عيوني..
لسوف أعيدك، يا سيدي
بكل احترام
كما جنتني بالبريد..
فلست أحبك أنت
ولست أحب حبيب النياق..
وطعم الثريد..
سأنسف..
هذي السماوات..
نجماً.. فنجماً..
ولن أتنازل عما أريد..

ويعتبرون الأثوثة..
مصدر ذل،
ووصمة عار
تصرف، كأي ابن أوى
يروغ ليل البراري
فلن أراجع
يا سيدي، عن قراري..
يا أيها الجاهلي المخضرم..
يا راجعاً من فرنسا
على فرس من حديد..
وفي شفتيه حليب النياق..
وطعم الثريد..
أما صقلتك الحياة قليلاً؟
أما هذبتك النساء قليلاً؟
أما علمتك مقاهي المدينة
أي كلام جديد..؟
أنا لست أنثاك، يا سيدي
ففتش عن امرأة ثانية..
تشابه آية سجاد
في بلاط الرشيد..
أنا امرأة من فضاء بعيد
ونجم بعيد..
فلا بالوعود ألين..
ولا بالوعيد..
أنا لست أنثاك.. يا سيدي
فنحن نقيضان في كل شيء..
ونحن غريبان في كل شيء..
فماذا لدي تريد..



تكريم الأديب والباحث المغربي عبد الكريم غلاب

شهد فندق هيلتون الرباط حفلاً زاهراً حضره عدد غفير من الوزراء والسفراء والسياسيين والأدباء، وذلك تكريماً للأديب والباحث المغربي عبد الكريم غلاب. رعت الحفل الدكتورة سعاد الصباح وناب عنها نجلها الشيخ مبارك عبد الله المبارك الصباح.

افتتح الحفل الدكتور محمد يوسف نجم، أستاذ شرف اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت والذي قدم للحضور صورة كاملة عن دور سعاد الصباح في مسيرة الثقافة العربية وما قدمته من جليل الأعمال سواء في ميدان النشر أو في مسابقات الإبداع للشباب العربي وفي تكريمها لرواد الثقافة العربية الأحياء.

وألقي الشيخ مبارك عبد الله المبارك كلمة الدكتورة الصباح معترفاً عن اضطرارها للتغيب عن الحفل لظروف القاهرة فقال:

يشرفني أن أقف بينكم الليلة حاملاً إليكم أصدق مشاعر العرفان لتفضلكم بحضور حفلنا هذا والذي يقام تكريماً لرائد من رواد الثقافة العربية، اختارت الوالدة الجليلة الدكتورة سعاد محمد الصباح أن يكون لاسمه التكريم، وفاء لعطاء لم ينضب في مختلف فنون الإبداع العربي. وإذا كانت الجبال والصحارى والسهول قد باعدت بين بلدينا الحبيبين: المغرب والكويت، فإن الكلمة العربية النقية قد وحدت ما بيننا من روابط وأقامت جسراً للعروبة لن يزول. في المعتاد أن نكون أصحاب الدعوة وأن تكونوا ضيوفنا، ولكنني أستشعر الليلة أنكم أنتم أهل الدعوة وأنني الضيف الصديق يحل في ربوعكم، فتمتلئ النفس بعبير حفاوتكم وأنقى ما في الدنيا من مشاعر الإخاء والتواصل.

أيها الحفل الكريم:

أنقل إليكم تحيات الوالدة وعميق اعتذارها عن عدم المشاركة في هذا الحفل، لأسباب تحول دون وجودها معنا، وأرى أن حضوركم أنتم ينوب عنها لأن في قلب كل منا غيمة وفاء لهذا الرجل النبيل، والذي إليه تتجه أبصارنا بالاحترام والمهابة.

أيها السيدات:

أيها السادة:

يشرفني أن أحمل فيما أحمل من دفق المشاعر، هذه الكلمة التي أكرمتني الدكتورة سعاد محمد الصباح بالقائها نيابة عنها:



الشيخ مبارك يهدي المحتفى به الكتاب التكريمي



المحتفى به يقدم للشيخ مبارك ضيوفه .



من اليمين : د . بربيش ، غلاب ، الشيخ مبارك ، د . نجم .



الشيخ مبارك عبد الله المبارك يلقي كلمته .

عندما أطلع وجه السماء ألمح مئات النجوم تتلألأ في إعلان واضح للإرادة الإلهية السامية التي أوجدت هذا الكون وأعطت الحياة فيه للأرض وللسماء، للبشر والماء والحجر.

وعندما أطلع وجه المغرب تعود بي الذاكرة لتلك الصداقة الأخوية التي كانت تربط بين جلالة الراحل الكبير الملك محمد الخامس وبين زوجي وصديقي الشيخ عبد الله المبارك الصباح رحمهما الله، لأربعين مضت من السنين، حين جئت بلدكم الرائع بصحبة الزوج الكبير وحللنا ضيوفاً على جلالة الراحل العظيم الملك الحسن الثاني.

لقد طفنا المغرب وزرعنا في قلوبنا محبته كما زرعت يد الله كل هذا الجمال في ربوعه وهذه الخضرة في روابيه، جارة لزرقا المتوسط والأطلسي ليكون المغرب بذلك جسر الأمان في دنيا المحيطات وزهرة المحبة في متون الأرض.

منذ ذلك الوقت عرفت المغرب في عيون تفرح للأمل وفي بهاء الطبيعة التي تزداد بريقاً يوماً بعد الآخر. كما عرفت في نتاج فلسفي وعلمي وأدبي وتاريخي متعدد الأصوات، ولكنه موحد الغايات وكبير التطلعات لعالم أفضل.

ووسط هذه الكوكبة من النجوم في عوالم اليقظة القومية، كان اسم المبدع العربي الأستاذ عبد الكريم غلاب ساطعاً كالشهاب ومنيراً كينبوع ضوء.

وإذا كان من نوادر العصر أن يستمر المبدع في عطائه لأكثر من خمسين عاماً، فإن ضيفنا هو واحد من علامات الندرة الإبداعية إذ لا يزال، وله العمر الطويل، معطاء في مختلف صنوف العطاء، ومستمراً دون توقف في تدوين الكلمات: قلادات من الجواهر وسحباً من متون الرواية والقصة والتفسير والدراسة والمقالة. وفي ذلك تنوع يتطلب طاقة خلاقة هادرة، وإنها في الأستاذ عبد الكريم غلاب واجدة ذاتها في ذاته، وصوتها في حروفه وضوءها فيما صاغ من جوهر الرؤى والصور والأحلام.

أيها الحقل النبيل:

أمام هذا الطود الشامخ بعنفوان الإيمان القومي، في زمن ضاعت فيه الإرادات والعقول، واستبيحت الكرامات وحل التخاذل محل الكبرياء.

أمام هذا الصوت الطاهر في زمن الرداءة وبؤس القيم، نقف بالإكبار تحية لرجل حقيقي، رداؤه الإيمان وسيفه القلم المؤمن بالعروبة مصيراً وبالنصر قدراً، لنقول له: شكراً يا سيدي لك، وشكراً للمغرب الذي أعطى الأمة بأمثالك نموذجاً وقدوة ومشعلاً للحق لن يغيب.

ثم ألقى الدكتور عبد اللطيف بربيش، أمين السر الدائم للأكاديمية الملكية المغربية كلمة حيا فيها المحتفى به ووصفه بأنه علم مفرد في تاريخ الثقافة في المغرب وشدد بالشكر على ما تقوم به الدكتورة سعاد الصباح "إنه تكريم يذكرنا بأن أمتنا لا تتنكر لمبدعيها".

كلمة المحتفى به كانت عابقة بالعاطفة وبالعرفان لمن كرمته ولمن أسهموا في صياغة كتاب التكريم الذي أصدرته دار سعاد الصباح للنشر بعنوان: "عبد الكريم غلاب: ضوء يشرق من المغرب".

منذ أواخر الخمسينات من القرن الماضي، أخذت مجلة "الأديب" اللبنانية لصاحبها ألبير أديب (١٩٠٨ - ١٩٨٥) تحتل حيزاً واسعاً في حياتي الأدبية، وأعترف أنه كان لهذه المجلة الرصينة فضل كبير علي لا أنساه.. فعلى صفحاتها تتلمذت ونشرت مقالاتي الأدبية، وعن طريقها تعرفت إلى نخبة طيبة من أعلام الأدب في الوطن العربي، ممن ربطتني بهم فيما بعد أواصر المودة والصداقة، ومن هؤلاء الصديق الحميم الأستاذ وديع فلسطين الذي مازلت حتى اليوم أرسله بانتظام، ونتبادل في رسائلنا الآراء والأفكار، وأخبار الأدب والأدباء في كل من سورية ومصر.

كان وديع فلسطين ينشر في مجلة الأديب "أحاديث مستطردة" عن الأدباء الذين عرفهم وخبرهم وزاملهم واصطفاهم، وتبادل معهم الرسائل، أو التقاهم إبان عمله في الصحافة منذ عام ١٩٤٢ حتى اليوم، ولما توقفت الأديب عن الصدور في كانون الأول عام ١٩٨٣ استأنف نشر هذه الأحاديث في جريدة "الحياة" التي تصدر في لندن، حتى بلغ عدد من كتب عنهم أكثر من تسعين أديبا وكاتباً وعالماً ومفكراً وصحفيّاً عربياً.. وكنت في كل رسالة أكتبها إليه، أحثه على جمع هذه الأحاديث القيمة ونشرها في كتاب، كي يستطيع القارئ الرجوع إليها متى شاء، قبل أن تعبت بها أيدي الضياع.. إلى أن زاره الأستاذ محمد علي دولة - صاحب دار القلم بدمشق - في منزله عام ٢٠٠١، وعرض عليه فكرة نشر هذه الأحاديث التي ترك القلم يجري فيها على سجيته - كما يقول - وصور فيها مرئياته، دون التزام بمذهب معين في كتابة التراجم والسير، وشرق وغرب، وشرذ على هواه هنا وهناك، لأنه كان يعيش بقلبه وروحه في الجو الأدبي والإنساني للأعلام الذين تناولهم.

في عام ٢٠٠٢ زار الأستاذ محمد علي دولة الأديب وديع فلسطين في منزله بالقاهرة مرة ثانية، وتحدث معه بشأن نشر

وديع

فلسطين

يتحدث عن

أعلام عصره

بقلم:

أ. عيسى فتوح

هذه الأحاديث، فوافقي وأعطاه أصولها المعدة للطبع، وصدرت فعلاً عام ٢٠٠٣ في مجلدين أنيقين وفاخرين طباعة وإخراجاً وتجليداً تستحق دار القلم التهنئة على العناية الفائقة بهما، ضم المجلد الأول سبعة وأربعين علماً في ٣٧٧ صفحة من القطع الكبير، وضم المجلد الثاني ستة وأربعين علماً في ٣٥٢ صفحة، فيكون مجموع الأعلام الذين تحدث عنهم ثلاثة وتسعين علماً، ممن ربطته بهم أواصر المعرفة والمودة والصداقة، وقد رحل معظمهم عن هذه الدنيا.

أهم ما يميز هذه الأحاديث المستطردة أن وديع فلسطين قد ضمنها بأسلوبه السهل الممتنع الكثير من القصص والأخبار والمعلومات الشخصية والخاصة التي لا يعرفها أحد غيره، اختزنها على مدى ستين عاماً في ذاكرته الحية، وباح بها للقراء بعد أن غيب الموت أصحابها، فمن المعروف أن وديع فلسطين "موسوعة واسعة المدى، عميقة الغور - كما قال عنه الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين - صاحب قادة النهضة الحديثة، وزامل أرباب الفكر وأساطين السياسة والنقد، وهو من القلة القليلة الذين لهم صلات واسعة، ومعارف في كل مكان من أرض المعمورة، واسع الأفق والحب والتراسل، يحبه الكثيرون، ويعجب به من عرفه وراسله وكتب إليه.

كان في نية الصديق وديع أن يضيف عدداً آخر من الأعلام إلى هذين المجلدين الكبيرين، لكن "ظروفاً مفاجئة باغتته، فرفع القلم، وفي نفسه آهات من الحسرات وكل ما أرجو أن تواتيه الهمة، ويطول به الأجل، وتسعفه الصحة - بعد أن بلغ الثمانين - ليواصل الكتابة عن باقي الأعلام الراحلين الذين أغفلهم عن غير قصد، ليكمل عمله الموسوعي الضخم الذي سد فراغاً في المكتبة العربية، فالكتابة عن أعلامنا المعاصرين واجب علينا يفرضه الوفاء والاعتراف بالجميل لمن أرسوا دعائم نهضتنا الفكرية والعلمية والأدبية في القرنين التاسع عشر والعشرين..

وقد فعلت مثله في كتيبي: شموع في الضباب، ومن أعلام الأدب العربي الحديث، ووجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث، وأدباء في الذاكرة التي درست فيها مئة وثلاثة وأربعين أديباً.. وفعل عبد الغني العطري (١٩١٩ - ٢٠٠٣) في كتيبه: عبقریات شامية، وعبقریات من بلادي، وعبقریات وأعلام، وعبقریات، وأعلام ومبدعون، وحديث العبقریات.. لكنه اقتصر في عمله على أعلام سورية فقط، ولم يتطرق إلى أي أديب خارج حدودها الجغرافية.

بقي أن أذكر بعض الأعلام الذين تناولهم في كتابيه مثل: إبراهيم المازني، إبراهيم المصري، إبراهيم ناجي، أحمد حسن الزيات، أحمد زكي أبو شادي، أكرم زعيتر، ألبير أديب، الياس فرحات، أمين نخلة، بدوي طبانة، بشر فارس، بولس سلامة، جعفر الخليلي، جميلة العلايلي، جورج صيدح، حبيب جاماتي، حبيب الزحلاوي، خليل ثابت، خليل مطران، الشاعر القروي، روز أنطون حداد، زكي قنصل، زكي مبارك، زكي المحاسني، ساطع الحصري، سعيد نقي الدين، سلامة موسى، سيد قطب، صلاح المنجد، طه حسين، عادل زعيتر، عادل الغضبان، عباس محمود العقاد، عبد الرحمن صدقي، عبد العزيز الرفاعي، عبد الكريم جرمانوس، عبد الله يوركي حلاق، عبد المسيح حداد، عجاج نويهض، عدنان الخطيب، عزيز أباطة، علي أدهم، عيسى الناعوري، فارس نمر، فدوى طوقان، فؤاد صروف، فيليب حتي، قدري حافظ طوقان، كامل السوافيري، كريم ثابت، محمد جميل بيهم، محمد عبد الغني حسن، محمد لطفي جمعة، محمد مندور، محمود أبو الوفا، محمود حسن اسماعيل، مصطفى الشهابي، مي زيادة، ميخائيل نعيمة، نجيب العقيقي، نجيب محفوظ، نظير زيتون، نقولا حداد، نقولا يوسف، وداد سكاكيني، يعقوب العودات، يوسف أسعد داغر، يوسف جوهر وغيرهم..



دياسة ..

شعر : د. محمد الحسواني

نظمت هذه القصيدة لابنتي ديمة وكان عمرها ثلاث سنوات ونصف،
وكانت البنت الأولى بعد أخويها عبد الله ونعمة الهادي
وأضفت علي وعلى العائلة شعوراً متميزاً..

أبْنَيْتِي أَنْتِ الَّتِي أَكْمَلْتَ لِي
مَعْنَى الْحَيَاةِ وَسُلْطَةَ الْوَجْدَانِ
يَا دَيْمِيَّتِي أَمْطَرْتَنِي نِعْمًا وَجَا
ذَ اللَّهِ مُنْذُ أَقْدَمْتُ بِالْإِحْسَانِ
إِنِّي لِأَشْعُرَ بِالْحَيَاةِ تَجَدَّدَتْ
وَأَحْسُ أَنْ النَّفْسَ فِي اطمئنانِ
* * *

لَمَّا تَدَاعَى بِسَمْتِي أَهْدَابُهَا
تَوَحَّيَ إِلَيَّ خَوَاطِرًا وَأَمَانِي
وَيَشْعُ نَوْرَ الْحُبِّ مِنْ نَظَرَاتِهَا
وَأَسْوَحُ فِي رَوْضٍ مِنَ الْمَرْجَانِ
وَتَكْبِلُ الْعَيْنَانِ فِي لِمَعَانِهَا
قَلْبِي وَتَأْخُذْنِي أَسِيرَ بَنَانِ
وَأَظِلُّ رَهْنُ الْأَمْرِ فِي أَعْطَافِهَا
وَأَمْسُ سِرِّ الْحُبِّ بِالْخَفْقَانِ





فَلْتَحْفَظْ إِلَهُمُ قَلْبًا خَافِقًا

فِي صَدْرِهَا الرُّحْبَ الْمَحَبَّ الْحَانِي
تَبًّا لِمَنْ كَرِهَ الْفِتَاةَ وَظَنَّ أَنَّ
الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي الْفَتَيَانِ
فَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ
نَادَى لِأَهْلِ الْبَيْتِ بِالْغَفَرَانِ

* * *

أَبْنَيْتِي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْهَوَا
ءِ يَطُوفُ حَوْلَ لَوَاحِظِ الْأَجْفَانِ
فَالرَّيْحُ تَحْمِلُ مَا يَطِيبُ مِنَ الشَّذَا
وَتَلَامَسُ الْوَجَنَاتِ لِمَسِّ حَنَانِ
وَتَثِيرُ فِي الْأَعْمَاقِ أَشْجَانَ الصَّبَا
وَتَوَاسِسُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَلْحَانِ
لَكِنَّهَا قَدْ تَسْتَدِيرُ عَلَى الرَّمَا
دَ تَذَرُ فِي الْأَحْصَاظِ ذُرَّ دُخَانِ
أَبْنَيْتِي إِنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ
فِيهَا تَجَلَّتْ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
أَنِّي تَرَامِي الطَّرْفُ أَدْرِكُ خَلْفَةً
كَسَبَتْ بِثُوبِ الْحُسْنِ وَالْإِتْقَانِ
فِي أَوْجِهِ الْأَطْفَالُ تَطْفَحُ بِالسَّبْرِ
عَةِ تَحْمِلُ الْبُشْرَى لِكُلِّ مَكَانِ





في نعمة الشحرور في سرب القطا
في روعة التصوير بالألوان
في مبسم الزهر المبلى بالندى
في ميس أغصان الربا واللبان
في سكة الشلال يعبث بالحصي
فيخاط الأملاس بالعقيان
في هداة الليل الجليل بصمته
يغشى الوجود فيستريح العاني
في طلعة البدر المنير تحيطه
أرتال نجم دائم اللمعان
ويراقب النجم الأمين على الهوى
خطوات أهل العشق والإيمان

* * *

أوصيك بالإيمان بالله الذي
يُفني الوجود إذا ارتأى بثواني
فإن الله قد خلق الخلاق عندما
شاءت إرادته ظهور الفاني
من ذا الذي يستطيع خلق بعوضة
أو يوقف الدنيا عن الدوران
أو يخلق النطف التي حُفظت بها
كل الصفات وبنية الإنسان





بمورثات أحكمت في دقة
ضمن السلاسل في عُرا الألوان
وتباينت صور الخلائق واستوت
بتناسق الذرات في البنين
وهناك روح أو قووى روحية
قد صاغها الله بشكل ثاني
والعلم بالموجود أمر واجب
حتى تجلّى كامل الأركان
والعلم قد شمل الوجود بأسره
من غابر الأحقاب والأزمان
لكن علم الناس أمر محدث
فمن العليم بسائر الأكوان؟؟
لو فكر الإنسان ممن جاءه الـ
عرقان والقدرات في إمعان
لأقر أن الله مصدّر علمه
فالعقل موهوب من الديان
فليرجع الإنسان عن غلوائه
وليلتزم بالسّعي والعرقان
فلقد تسخّرت الثرى إذ ذللت
للناس والأقمار في سلطان
فلنحمد الباري على نعمائه
ولنعبد الرحمن دون تواني



ثقافتنا

العربية

بين

الأمس واليوم

بقلم:

أ. شحادة الخوري

بتاريخ ٧ / ١١ / ٢٠٠٣ و بدعوة من نادي جمعية الشبان السريانية بدمشق، ألقى الأديب والباحث شحادة الخوري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، محاضرة بعنوان (الثقافة العربية بين الأمس واليوم) حضرها قداسة البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص، بطريك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الجامعة في العالم، والدكتور شاهر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والدكتور عبد الله واثق الشهيد أمين المجمع، ونخبة من الأدباء والباحثين والمفكرين، وفيما يلي نص المحاضرة :

المقدمة

ما معنى الثقافة، لغة واصطلاحاً؟ ما أهميتها؟ ما مضمونها؟ ما سمات ثقافتنا العربية؟ ما هي التحديات والأخطار التي تتعرض إليها اليوم، وما سبل درئها للحفاظ على ذاتيتنا الثقافية؟ ثم كيف ننمي ثقافتنا ونحدثها مواكبة للعصر؟

هذه التساؤلات وأمثالها شغلت المفكرين العرب منذ حوالي قرنين من الزمن، ابتداءً من ولادة مشروع النهضة العربية الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر، ولكنها تحولت هاجساً في العقود الخمسة الأخيرة الجسيمة التي عصفت بالوطن العربي.

وقبل أن أدخل في شعاب هذا البحث، أود أن أجيب عن بعض التساؤلات التي ذكرت، تاركاً الإجابة عن بعضها الآخر ليجيب عنها البحث نفسه في سياقه وخاتمته، وما سيليه من تعقيبات ومناقشات.

أولاً - الثقافة عامة:

١ - معنى الثقافة:

الثقافة، لغةً مصدر لفعل ثقّف. جاء في "لسان العرب" لابن منظور: ثقّف الرجل ثقافة صار حاذقاً فهو ثقّف.

وجاء في المعجم الوسيط: "ثقف العلم والصناعة حدّقها. وثاقفه مثاقفة: لاعبه لإظهار الحذق، و ثقّفه: أدبه وهذبه. و ثقّف الرمح قوّمه.

اللفظة إذن عربية النجار قديمة الاستعمال. تدور حول الفطنة والفهم والحذق والتعلم. وفي العصر الحديث صارت مقابلة للفظة الإنكليزية / الفرنسية culture المأخوذة من كلمة cultura اللاتينية، هذه اللفظة التي شاعت في الغرب في عصر النهضة الأوروبية.

٢ - تعريف الثقافة:

حاول المفكرين والدارسون من العرب وغيرهم أن يضعوا تعريفاً لهذا المصطلح فلم يُجمعوا على تعريف واحد بل وُضع له أكثر من منتي تعريف.

وأورد هنا التعريف الذي ورد في "الخطّة الشاملة للثقافة العربية" التي وضعتها المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووافق عليها مؤتمر وزراء الثقافة العرب عام ١٩٨٥:

"تشمل الثقافة مجموع النشاط الفكري والفني بمعناه الواسع وما يتصل به من المهارات أو يعين عليه من الوسائل. وهي تنظم جميع السمات المعبرة للأمة: الروحية والفكرية والفنية والوجدانية ...

وفي موضع آخر ذكرت الخطّة: "أن الثقافة تشمل مجموعة المعارف والقيم وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطرز الحياة، كما تشمل تطلعات الإنسان إلى المثل العليا والبحث الدائب عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته.

وباختصار هي جملة من العناصر الثابتة أو القريبة من الثبوت والعناصر السريعة التحول والتغير.

وفي عام ١٩٨٢ عقدت المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) مؤتمراً

في مكسيكو عاصمة المكسيك بشأن "السياسات الثقافية". وجاء في الإعلان الذي صدر عن المؤتمر: "إن الثقافة هي التي تمنح الإنسان القدرة على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة بالقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي. وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته والبحث دون ملاء عن مدلولات جديدة وحالات إبداع".

ويبدو أن الإنسان وحده، من بين الكائنات الحية، قد تفرّد بصنع الثقافة، فهي فارق كمي بين فرد وآخر وجماعة وأخرى.

إن الثقافة تشمل على العلم، وهي بدورها من مكونات الحضارة التي تحيط بالجانبيين المعنوي والمادي من التراث البشري.

٣ - مضمون الثقافة:

وبعد اطلاعي على تعريفات أخرى للثقافة، أستطيع القول إن مفهوم الثقافة يشمل مساحة واسعة من النشاط الإنساني، في مجالات الفكر والأدب والعلم والفن، وإنها تتجلى بأشكال متعددة:

- في النفس والعقل: تشمل المنظومات الروحية والخلقية والسلوكية "القيمية" لفرد والجماعة، كما تشمل الأعراف والعادات والتقاليد والحياة العقلية "الفكر والعلوم والمعارف" والحياة الوجدانية للإنسان بكل ما تختزن من مشاعر وعواطف.

- في الكلمة: تتمثل بالآداب: الشعر الذي يعبرُ باللغة عن الأفكار والأحاسيس والتخيلات، والفنون النثرية المختلفة.

- في اللحن: وتشمل الموسيقى والغناء والتراتيل والإنشاد والعزف على الآلات المتنوعة.

- في الحركة: إنها تشمل التمثيل المسرحي والتلفزي والسينمائي والرقص بأنواعه.

ثانياً - الثقافة العربية:

١ - الثقافة العربية:

إن الثقافة العربية هي إحدى الثقافات الكبرى التي تتشكل منها الثقافة الإنسانية الشاملة، بامتدادها في الزمان والمكان. أما من حيث الزمان، فقد بدأت بالتشكل في عصور مفرقة في القدم ولا يستطيع أحد أن يحدد تاريخاً لنشأتها. بيد أن ما وصلنا من العصر الذي سبق ظهور الإسلام والذي ندعوه "العصر الجاهلي" من روائع شعرية أهمها المعلقة السبع أو العشر، وما بلغنا من خطب وحكم وأمثال ليعكس لنا حالة من التطور الفكري والاجتماعي واللغوي والفني.

ولئن امتد هذا العصر نحواً من مئتي عام، فقد سبقته قرون عديدة كانت الثقافة في جزيرة العرب - وأداتها اللسان العربي - تتشكل شيئاً فشيئاً، وتتمايز من ثقافات الجماعات العربية القديمة التي دعيت بالسامية اصطلاحاً، والتي نزحت إلى منطقة الهلال الخصيب وبلاد الشام ومصر خلال فترات متعاقبة، قبل ظهور الإسلام بزمان مديد، وأقامت مدناً وأنشأت دولا، وطورت معارف، وأسست حضارات.

ثم جاء الإسلام فأغنى الثقافة العربية بالقيم والمعاني السامية ومكنها من الاستمرار من بداية ظهوره حتى اليوم، متألفة في عصر النهضة الحديثة.

أما من حيث المكان، فقد حملت الفتوح والانتصارات الثقافة العربية بعيداً عن مراكز الحكم عواصم الدولة العربية في المدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة إلى بلاد الأندلس غرباً وبلاد السند شرقاً أي أنها عمّت العالم المتمدن في القرون الوسطى، وأينعت ثمراتها في القلب والأطراف على السواء، من دمشق وبغداد والقاهرة إلى همدان وسمرقند ومراكش وقرطبة واشبيلية وغرناطة.. وتلك آثارها ومعالمها باقيات على الدهر.

- في الفن التشكيلي: وتشمل الرسم والتصوير اليدوي والفوتوغرافي والزيتي والتزييني كما تشمل النحت والنقش على الخشب والمعدن والزجاج والخط والعمارة.

- في العمل اليدوي: وتشمل الأعمال التي تستخدم فيها المواد المختلفة كالخشب والمعدن والجلد والقش والدهان بجميع أنواعه.

٤ - أهمية الثقافة:

إن الثقافة تكسب الإنسان تميزه وهويته، وتحدد نسبته إلى جماعة معينة، كما تكسب الجماعة تميزها وهويتها وتحدد نسبتها إلى الجماعات الأخرى، إذ هي حصيلة ارتسامات الجغرافية من حيث موقع الأرض ومناخها، والتاريخ بأحداثه وتقلباته، في نفسية الجماعات، وجهود هذه الجماعات في الحفاظ على وجودها وإغنائها.

وبسبب هذا كله كثرت الدراسات حول طبيعة الثقافة وأقيمت الندوات حول موضوعات السياسات الثقافية والتبادل الثقافي، والتنمية الثقافية والغزو الثقافي، وأنشئت وزارات للثقافة ودور للثقافة ومراكز وأندية وصحافة.. إلخ..

ومن اللافت للنظر أن أولى وكبرى المنظمات التي أقامتها هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثاني هي المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) وأن أولى المعاهدات التي أقرها مجلس جامعة الدول العربية هي المعاهدة الثقافية الموقعة عام ١٩٤٥، وأولى الإدارات التي أحدثتها الجامعة وفي العام المذكور نفسه هي الإدارة الثقافية، وأن كبرى المنظمات التي أنشأتها هي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) عام ١٩٧٠ ثم قامت على غرارها المنظمة الإسلامية للتربية والعلم والثقافة عام ١٩٨١ (الأسيسكو).

إن ثقافتنا العربية تمتلك من السمات والخصائص ما يؤكد تميزها وتفرداها ومنها:

١- المنحى القيمي الإنساني: لقد اتسمت ثقافتنا منذ الجاهلية بروح إنسانية عالية: الإباء والشجاعة والتضحية دفاعاً عن الدار والزّمار، والكرم سمعة تطلب وشرف يرغب، والإيثار والمروءة ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.. وجاء الإسلام فثبّت القيم الحسنة وأبطل الضارة كالنّار والوَاد، وأضاف قيماً جديدة سامية: قيم الحق والمساواة والعدل والشورى، مؤكداً بذلك أهم المبادئ والقيم التي جاءت بها المسيحية من قبل والتي اعتنقها العديد من العرب في الجاهلية ثم عايشَت الإسلام منذ بزوغه حتى اليوم.

٢- الشمول والانفتاح: في الجاهلية، كان الشعر ديوان العرب، إلى جانب الخطابة والحكم والأمثال، وبعد الإسلام اتصلت الثقافة العربية بالثقافات الأخرى ولم تتردد في التعامل معها وفتحت ذراعيها لحكمة الإغريق والهند وآداب الفرس وعلوم اليونان والسريان، فاقترنت عن اقتدار معارف الآخرين لتصوغها من جديد بلغتها وتغذيها بإبداعاتها وعبريتها: آداباً وفنوناً وعلوماً متنوعة كالطب والهندسة والفلك والحساب والكيمياء وغيرها.. وفيما بعد نقلت ثقافتنا إلى لغات الغرب فكانت أساس النهضة الأوروبية والعالمية في العصور الحديثة. إنها ثقافة حوار، تأخذ وتعطي مع الحفاظ على ذاتية مستمرة وطابع متميز دون تقوقع أو انغلاق.

٣- القدرة التعبيرية: إن العربية أكمل اللغات العربية القديمة "السامية" بناءً وأغناها لفظاً وأقواها تركيباً وأجملها تعبيراً وأوضحها دلالة على دقائق الطبيعة خفايا النفس. وكان للقرآن الكريم فضل على

اللغة انعربية وأي فضل. فقد وُحِدَ لهجاتها وأغناها بمبانيه ومعانيه وبلغ في البلاغة الإعجاز، وأفسح لها أن تمتد في الأرض، إلى حيث انتشر الإسلام وهاجر العرب.

ثالثاً - التحديات والأخطار:

لم يعيش شعبنا العربي في أية حقبة من حقب تاريخه الطويل، في عزلة عن الشعوب الأخرى ولا سيما الشعوب المجاورة له، بل كان على اتصال معها وتفاعلت ثقافته بثقافاتهما، أخذاً وعطاءً، وهذا ما ندعوه بالثقافة. إن الثقافة عملية تفاعل وتبادل وتكامل بين الأنماط الثقافية، تجري بطواعية واختيار دون قسر أو افتعال. نقل العرب بالثقافة آداب من كانوا قبلهم وعلومهم فتمثلوها وأضافوا إليها، ونقل الغرب عن العرب بالثقافة علومهم وآدابهم وتمثلها وأضاف إليها.. إن المعرفة كالشمس تسطع هنا وهناك فتنير الدنيا وتبديد الظلمة، والإنسان أخو الإنسان، شاء أم أبى.. وإذا انتقل المشغل من يد إلى يد، فذلك من تبدل الأحوال وتقلب الأيام والأزمان.

أما الغزو الثقافي الذي مارسه الغرب على أمتنا العربية من بداية يقظتها في هذا العصر حتى اليوم، بدافع مصالحه السياسية والاقتصادية التي لا حدود لها، فقد تمثل بالسعي لاختراق ثقافتنا والنيل من لغتنا وتنميط عقولنا ومشاعرنا وأذواقنا وفقاً لنهج وأسلوبه ليجعلنا أرقاماً في دائرته وسوقاً لمنتجاته ومصدراً لثرواته.

إن الثقافة عمل مشروع وأخلاقي والغزو الثقافي غير مشروع ولا أخلاقي. لقد بدأت محاولة الغرب هدم السور الواقي للأمة العربية - الثقافة العربية - من منتصف القرن التاسع عشر. فقد عملت بريطانيا وفرنسا على عرقلة مسيرة التقدم والنهوض العربية بكل ما أوتيتا من قوة ودهاء. وبعد الحرب العالمية

الثانية تصدت الولايات المتحدة لهذه المهمة ومعها الصهيونية العالمية وإسرائيل.

وقد اتخذت هذه المحاولات صورتين

اثنتين:

أولهما: محاولة الإيقاع بالثقافة العربية بضرب أداتها في التعبير وهي اللغة العربية.

وثانيتهما: محاولة الإيقاع بالثقافة العربية بضرب أداتها في التفكير وهي العقل العربي.

ومرت هذه المحاولات بثلاث مراحل:

الأولى: الغزو الثقافي اللغوي الرامي إلى إضعاف اللغة العربية ثم إلغائها.

الثانية: التطبيع الثقافي مع إسرائيل وتطويل الإنسان العربي وطمس تراثه والتخلي عن حقوقه.

الثالثة: العولمة الشرسة الساعية لإلغاء الخصوصية القومية والذاتية الثقافية وتعطيل العقل العربي أو نفيه وتبديله كيلا يعوق احتواء أمريكا العالم وسيطرتها على الكوكب الأرضي.

١ - المحاولة الأولى:

ادعى بعض المغرضين أن اللغة العربية الفصيحة لا تصلح لهذا العصر، فدعوا إلى هجرها واعتماد العامية، وزعم آخرون أن الحرف العربي لا يصلح البتة، ودعوا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، على غرار ما فعل أتاتورك باللغة التركية. كان من هؤلاء الدعاة وليم سبيتا الإيطالي الجنسية وكان مديراً لدار الكتب المصرية وويلكوكس البريطاني. ومن دعائها العرب في مصر: عبد العزيز فهمي وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى. وفي لبنان: مارون غصن وسعيد عقل. إن هذه المحاولة قد فشلت فشلاً ذريعاً، ولكنها نبهت إلى ضرورة تمسكنا باللغة العربية الفصيحة وتحسين تعليمها وضرورة إتقانها، لغناها ومرونتها وقدرتها على النماء، ولأنها جوهر هويتنا القومية ومخزن ثقافتنا الفريدة.

أما الشق الثاني من المحاولة فهو الادعاء بأن العربية لا تصلح لتدريس العلوم لبعدها عن مصادر العلم وافتقارها إلى المصطلح العلمي.

لقد أحبط تدريس العلوم بالعربية في مصر بعد أن استمر فيها إحدى وستين سنة ١٨٢٦ - ١٨٨٧، وأحبط في الجامعة الأمريكية ببيروت بعد أن استمر ثمانية عشر عاماً ١٨٦٦ - ١٨٨٤.

إن سورية - وحدها - درست العلوم باللغة العربية بدايةً من عام ١٩١٩ حتى اليوم، وبنجاح مرموق.

٢ - المحاولة الثانية:

بدأت هذه المحاولة مع اتفاقية كامب ديفيد التي عقدت بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ برعاية الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تابعت بقوة بعد اتفاقية أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية واتفاقية وادي عربة بين إسرائيل والمملكة الأردنية الهاشمية.

سميت هذه المرحلة بالتطبيع أي جعل العلاقة طبيعية بين العرب وإسرائيل الغازية المحتلة الدائمة على التوسع والاستيطان مع قمع وتعسف وتدمير للمنازل وتهجير للسكان العرب. إنه في الحقيقة تطويع وتركيع تحت لافتة التطبيع، وفرض للخضوع والاستسلام تحت لافتة السلام.

وعلى أرض الواقع قامت إسرائيل وما تزال بمحاولة طمس الثقافة العربية في فلسطين، ومن إجراءاتها:

١ - ملاحقة الكتاب والفنانين وإدخالهم السجون.

٢ - إلغاء التراث الثقافي الفلسطيني أو سرقة وتشويهه.

٣ - قمع النشاط الثقافي مثل حل الفرق المسرحية ومداومة المكتبات ومصادرة الكتب.. إلخ.

بالمعنى الحرفي، وكان يخطط لتجريد الشعب الواقع تحت الاحتلال من مقومات هويته الوطنية".

٣- المحاولة الثالثة:

عندما حسمت المنافسة الشاملة بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي والتي استمرت حوالي نصف قرن من الزمن، لصالح النظام لأول، لأسباب لا مجال لسردها، جنح الرأسمال نحو التمرکز الشديد واندمجت مؤسسات اقتصادية وإعلامية وشركات ومصارف بعضها ببعض وأخذت تعمل برؤوس أموال خيالية تصل إلى مئات المليارات من الدولارات ويسهم فيها ممولون من جنسيات مختلفة، وتولد عن ذلك نزوع إلى السيطرة على موارد الأرض وأسواق العالم بأسره.

وقد عبّر عن هذا الوضع المستجد بالعولمة وهي صيغة مصدر من عولم وتعني جعل الشيء شاملاً العالم كله، وهو ترجمة لكلمة Globalisation الإنكليزية، ولكلمة Mondialisation الفرنسية، وبعضهم أطلق عليها بالعربية الكوكبية أو الكونية وهي بالأحرى أمركة، نسبة إلى الولايات المتحدة، الدولة الرأسمالية بامتياز.

إن العولمة تختلف عن العالمية، إذ أن العالمية طموح إلى الارتقاء بالخصوصي إلى مستوى عالمي. وهذا طموح مشروع في الفكر والأدب والفن وغيره، في حين أن العولمة هي اختراق الآخر وسلبه خصوصيته ونفيه من العالم.

إن آثار العولمة عديدة وفي كل مجال، بداية من المركز وهي آثار مدمرة: انتشار البطالة، انخفاض مستوى المعيشة، تدهور أجور العاملين، التفاوت في الدخل، التراجع في الخدمات التعليمية والاجتماعية، الدمار البيئي، انهيار الطبقة الوسطى، وبكلمة: العولمة تغني الأغنياء وتفقر الفقراء!

وقد رافقت حملة التطبيع هذه مساعٍ محمومة لتدجين العقل العربي وإضعاف مرتكزات الثقافة العربية، فطرحَت مقولات مغلوطة كاذبة رَوَّجَ لها دعاة الصهيونية وأنصار إسرائيل، نذكر منها:

١- أن المنطقة الجغرافية، من الخليج إلى المحيط هي "الشرق الأوسط" لا الوطن العربي. إن هذه المقولة الضالة والمضللة تجعل العرب جزءاً من سكان المنطقة لا كل سكانها، وتنطوي على تأصيل إسرائيل فيها، فيكون الخزر والفلاشا من أهلها دون الفلسطينيين العرب المهجرين من أراضيهم.

٢- إن العرب لا يشكلون أمة، بل ثمة أمة مصرية وأخرى تونسية وشعب جزائري وآخر سوداني.. أما يهود إسرائيل الذين وفدوا من مئة وعشرين دولة ويتكلمون ستين لغة، فهم شعب واحد.

٣- أن إسرائيل دولة ذات حق في الوجود والبقاء لأنها تقوم على أساس وعد من الله لشعبه إسرائيل.

إنه لزعم مغاير لكل منطق ولا يقبله عاقل. ومتى كان الله يخص جماعة بأرض تعيش فيها جماعة أخرى منذ زمن مديد؟

٤- إن إسرائيل دولة ديموقراطية، بل واحة في صحراء، وأن في مقدورها أن تسهم في تنمية المنطقة بما تملك من تقدم علمي وتقني. ولكن ها قد مضت سنة وخمسون عاماً على قيام إسرائيل، وهذه الدولة تمارس العدوان والاعتصاب والعنصرية، بل تدمر بآلات الحرب منازل الأبرياء وتقتل الشيوخ والأطفال. فهل يصح نعتها بالديموقراطية؟ وأما خرافة التنمية فقد استنزفت إسرائيل بعديتها المستمر موارد المنطقة وقوتها.

لقد كتب أحد المفكرين الفلسطينيين يقول: "إن العدو الصهيوني لم يوفر أية وسيلة قمعية ضد الثقافة الفلسطينية العربية، ولم يكن يرمي إلى طمسها بالمعنى المجازي للكلمة، بل

هذا والثقافة، واللغة ركيزتها، نصيب وافر، ولا سيما في البلدان المستهدفة كالبلدان العربية. يقول الدكتور عابد الجابري:

"إن الغرب يقول لك أفتح الحدود لأننا عالم واحدة بلغة واحدة، وهكذا تتآكل اللغة العربية وتآكلها يعني تآكل الذاتية والعقل وعندها لا يبقى إلا الثقافة المسطحة التي يصدرونها إلينا".

إن المثال الساطع على مخاطر العولمة ما نشهده في فلسطين والعراق وأفغانستان، من ظلم غاشم ودمار ماحق، وسحق للثقافة واللسان، وهدر لكرامة الإنسان.

ويرافق هذا العدوان الشامل سيل جارف من الأكاذيب: إن المدافع عن أرضه وبيته وكرامته إرهابي أو انتحاري أو أصولي خارج على القانون، والغاصب أرض غيره وسارق الوطن من أهله، وقاتل الصغار والكبار، والشيوخ والنساء، وهادم المنازل على سكانها.. رجل سلام، ورجل ديموقراطية! هل غاب المنطق، واستقال العقل، وعم الجنون، وعميت الأبصار والبصائر!

رابعاً - الإقدام والإحجام:

١ - الأصالة والمعاصرة:

إننا ونحن نشهد هذه التحديات والأخطار، نلاحظ أن رد الفعل، ولا سيما في المجال الثقافي، أضعف من الفعل، فهل يكون ذلك بسبب توزع الأمة العربية في اثنتين وعشرين دولة، ولكل دولة منها مصالحها وسياستها أم لضعف بنية جامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة وهشاشة النظام الإقليمي العربي، أم لانشغال الجمهور العربي بمعاشه وحياته اليومية، أم لتشتت جهود الطليعة العربية المثقفة في المشرق والمغرب؟!

قد يكون لكل من هذه الأمور أثر، ولكنني أود أن أؤكد أنه لو استطاع العرب

خلال القرنين الأخيرين أن يحققوا نهضة حقيقية متوازنة تنقلهم من طور الانفعال إلى طور الفعل، من حال الاستهلاك إلى حال الانتاج، من وضع المتلقي إلى وضع الإبداع، ولو استطاعوا أن يحققوا الحداثة في المنهج والعلوم والتقنيات مع المحافظة على الذاتية مثلما فعلت اليابان منذ قرون من الزمن وماليزيا منذ عقود، إذن لكان الجسم العربي أمنع وأقوى، وعصياً على الاختراق.

لقد وقعنا في حيرة من أمرنا ونحن نخرج من عتمة العهد العثماني والسلطة الاستعمارية الغربية وندخل عهد الحرية والاستقلال: أن نتمسك بالتراث والأصالة، أم نأخذ بالحداثة والمعاصرة؟ ماذا نأخذ عن الغرب وماذا نترك؟ لقد أضعنا كثيراً من الجهد والوقت والحبر في تناول هذا الموضوع، ووضعت بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

"إن قضيتي الأصالة والمعاصرة ليست نقيضتين إطلاقاً. فالأصالة ليست التوقيع وليست التجمد عن الماضي، ولكنها تبني قيمه والتجديد الدائم فيه، والمعاصرة ليست الاستلاب وليست تجديداً محضاً وتبنياً لمعطيات الغرب وقيمه وذوباناً فيه، ولكنها إدخال للعصر في الذات العربية.. إننا نقبل الغرب ثقافة وفكراً وابتكاراً وعلماً ونرفضه عدواناً واستعماراً وتذويماً للهوية العربية".

إن الثقافة العربية ليست قالباً جامداً بل هي كينونة وصيرورة، ثوابت ومتغيرات، هي حياة متطورة ونماء وجهد ومعاناة، هي مناعة وقوة وإبداع متجدد.

١ - العولمة والمعلوماتية:

لقد تزامنت ولادة العولمة مع الثورة العلمية ولا سيما في مجال المعلوماتية ووسائل الإعلام والاتصال (البرق والهاتف الثابت والمحمول والإذاعة المسموعة والمرئية، والسينما والتلفزيون، والفديو وأخيراً

الحاسوب) إن العولمة والمعلوماتية ليستا شيئاً واحداً، أو شيئين متلازمين. ذلك أن العولمة هي حصيلة تطور اقتصادي ومالي وسياسي: مرحلة متطورة ومتقدمة من مراحل الرأسمالية الامبريالية، في حين أن المعلوماتية والثورة العلمية برمتها في المجالات المختلفة كالهندسة الوراثية وهندسة الذرة والإنسان الآلي والأتمتة.. هي حصيلة تطور علمي وتقني.

بيد أن التزامن الذي حصل، أفسح للعولمة أن تستفيد من المعلوماتية وتستخدمها لأغراضها: زيادة الإنتاج، سرعة الاتصال، السيطرة على الإعلام والمعلومات بغية اقتحام الأسواق، وتوحيد الأذواق، وتنميط الأفكار، والعادات، وجمع الأموال وتحقيق الأرباح الخيالية للشركات العملاقة المتعددة الجنسيات.

لقد تحولت تقانة المعلومات إلى مصدر مهم من مصادر المعرفة والثروة والسلطة، وغدت المعرفة العلمية ضرورة وحاجة، ولن يستطيع شعب بعد اليوم أن يحتفظ بحريته وسيادته على أرضه وقدرته على تقرير مصيره إلا إذا اعتمد على قاعدة من العلم النظري والتطبيقي. يقول أحد الفكرين: "إن العلم الذي نقل البشرية من طور إلى آخر هو الذي يقوم حالياً بخلق عالم جديد وحضارة جديدة.."

إنه لخطأ تاريخي أن تترك العلوم والتقانات أداة بيد العولمة الطامعة في التسلط والهيمنة، وإنه لمن حق شعوب الأرض كلها أن تستفيد منها لتثبيت حقوقها وحرياتها وحماية ثقافتها وحضاراتها ولغاتها من الاندثار والضياع.

إن من واجب الدول والحكومات أن تدرج في أوليات خططها وبرامجها التربوية والتعليمية: نقل العلوم والتقنيات إلى لغاتها وتوطينها في عقول أبنائها، الاهتمام بالبحث العلمي، تنمية الخيال المبدع، تشجيع التعلم

الذاتي والتعلم المستمر، الدعوة إلى العمل العلمي الجماعي، توفير الأدوات والمواد والمخابر.. مع المحافظة على قيم التعاون، والعطاء والثقة بالنفس.

خامساً - المواجهة العربية:

١ - ضرورة المواجهة:

ليس من سبيل لنا سوى مواجهة ما نتعرض له، وليس لنا أن نتجاهل الخطر الداهم والتحدي القائم.

إن التغافل عن الخطر خطأ جسيم، لأن رد العدوان أجدى من الاستسلام. إن الصهيونية عقيدة عنصرية، دونها الفاشية والنازية، وهي تحمل في طياتها مشروعاً واسعاً: إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات. إن هذا المشروع مازال في بعض مراحله، ولذا فالعدوان مستمر واغتصاب الأرض وهدم المنازل واقتلاع الأشجار وبناء المستوطنات سيستمر أمداً طويلاً إذا لم توقفه وتحبطه مقاومةً بأسلة لا تفتر حتى تقتلع أنياب الذئب وتبدد أوهامه.

ويضاعف خطر إسرائيل استنادها إلى دعم مطلق من الولايات المتحدة الأمريكية التي تعمل على إقامة امبراطوريتها باندفاع شديدة براغماتية واسلحة حديثة فاتكة وقوة اقتصادية ومالية طاغية وإعلام موجه لنشر الأضاليل وتشويه الحقائق وتسخر منتجات العلم والتقانة لتحقيق أغراضها، ذلك مع تماثل أطماعها وأهدافها في المنطقة العربية.

إننا نقف أمام عدوان مزدوج: الصهيونية والعولمة: إسرائيل وحاضنتها الولايات المتحدة. فحري بنا أن نفكر معاً ونعمل معاً للصمود في وجه هذا الطوفان حفاظاً على وجودنا وأرضنا ولغتنا وثقافتنا وكرامتنا.

فأي نهج نتبع وأي سبيل نسلك؟

إننا مدعوون إلى مقاومة الغزو الثقافي والتطبيع الثقافي مع العدو الإسرائيلي وذلك بدحض الأضاليل والافتراءات المنافية للحق، والمنطق والتاريخ، والإسراع بالقيام بحملة منظمة تستند إلى خطة ثقافية وتثقيفية تعليمية وإعلامية ترمي في الداخل، داخل الوطن العربي، إلى بث الوعي في العقول وتعزيز الثقة بالنفس وتقوية تمسك الأجيال الشابة بتراثنا المجيد ودفعها إلى بناء مستقبل زاهر، وفي الخارج لتنوير الرأي العام، بكل الطرائق والأساليب المتاحة، بالحقائق التاريخية والراهنة، وتعريف الآخرين، في مختلف البلدان والقارات بالصورة المضيئة للحضارة العربية والطموحات المشروعة للأمة العربية في هذا العصر.

إن العدوان الثقافي ينبغي أن يواجه بمقاومة ثقافية، كما يواجه العدوان السياسي والعسكري بمقاومة تغل شدة وتشل ثورته. بالمقاومة وحدها نعزز الصمود العربي ونحفظ الأمن الثقافي لأمتنا.

٣ - التنمية الثقافية:

إننا ونحن نخوض معركة قاسية طويلة الأمد، مطالبون بأن نزيد أنفسنا مناعة وقدرة. وهذا لا يتحقق إلا بتنمية ثقافتنا بجعلها تستوعب معطيات العصر العلمية والتقنية، لننتقل من مرحلة النقل والاستهلاك إلى مرحلة الفعل والإنتاج.

إن التنمية تختلف عن النمو، فالنمو شأن ذاتي من طبيعة كل حي، والثقافة كائن معنوي حي، وأما التنمية فهي عمل هادف ومقصود ومخطط له ومنظم ومدعم بالجهد والسلطة والمال.

إن التنمية الثقافية تقتضي التخلص من الأمية العادية ومن الأمية الحضارية، والعناية بالتربية والتعليم، وبث المعلومات

العلمية في أذهان الناشئة وتعويدهم التفكير العلمي وتشجيع الترجمة ولا سيما أمهات الكتب، والاستعانة بمختلف وسائل النشر والإعلام لنشر المعرفة والدعوة إلى اكتسابها.

والتنمية تشتمل على التأصيل وهو استيعاب المعارف الجديدة والعلوم بمختلف أنواعها وتمثلها كما تصبح جزءاً من تكويننا النفسي ونسيجنا الثقافي، كما تشتمل على توطين العلم في أرضنا ممارسه تفكيراً وصناعة وابتكاراً، لا أن يبقى أقوالاً تروى وصفحات تحفظ ومنتجات تستخدم، ويبقى العلم غريباً عنا ونحن في غربة عنه، ثم على استنبات هذا العلم بحوثاً تهتم بالبيئة الطبيعية والبشرية وتستهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

هذا وينبغي أن نبذل للغتنا العربية المجيدة العناية الفائقة لتمكينها من استيعاب علوم العصر وفنونه، وذلك بالدراسات اللغوية المفيدة وتحسين طرائق تدريسها وإيجاد المصطلحات العلمية والحضارية، مستعينين بمنجزات المعلوماتية التي تختصر الزمن وتوفر الجهد.

الخاتمة

إن الثقافة القوية الغازية تلغي ثقافة عاجزة جامدة، ولكنها لا تلغي ثقافة حية تتغذى لتقوى وتقوى لتزهر وتثمر، ترفض الرديء الضار وتقبل الجيد النافع وتحصن نفسها لمواجهة التحديات والأخطار ولا تضعف إزاءها.

وهكذا تكون الثقافة "المقاومة النامية" الوسيلة لتحرير العقول وتنوير الأذهان وشحذ الإرادة والطريق إلى تحقيق المشروع النهضوي العربي الذي كان وما زال حلم الأجيال.



أنا والشعر ..

شعر: حسان الصاري

لأنني راحل والشعر بـ
تـركت الجامحات بـلا وثـاق

وهمت مع الضياء وجئت بـرقاً
ألم لم ما تبعثر في السـباق

أقوت الشعر من أيام عمري
وأروي به بهتان المـآقي

يعاندني ويمعن في جفائي
يشدد براحته على خـناقـي

أمد له - إذا يرضى - جفوني
فيصـلـبني على جمـر احـراقـي

ويتركـني ومـالي غـير صـبر
أجرعه صـرعه صـرعه صـرعه

أعـاتـبه وهـل يجـدي عـتاب؟
وقـد شـد الـرحـال عـلى العـتـاق





وخلفني على جرحي مقيماً
وهل جرح يبل بغير راق

أماناً يا طيوف الشعر عودي
أما يرضي حرائك ما ألقى؟

أما يكفيك ما ضيعت مني
ومما أنفقت من عمري المراق؟

عديني بالوصال ولا تزوري
ومني بآنس نام رقراق

وجريني بحبل من وعودي
فمثلي لا يحسن إلى انعناق

لقد أدمنت يا أطيف قيدي
فضمني إليك بلا فراق

ونامي بين أنفاسي وبيدي
وثوري إن جئحت إلى النفاق

ورديني إلى الماضي غريباً
وسلي السيف واحترزي السراق

فمثلك لا يسلم بالدنايا
ولا يرضى بأنصاف المراق





فوكــــر النــــر قــــمــــات تــــمــــامت
وغيمــــات تــــحــــن إلى العــــناق

*

*

*

لأن الشــــعر مــــوت لا يجــــاري
وتحــــللق بأجــــنحة الــــبراق

وإبحــــار عــــلى هــــجــــوج المــــنايا
وإقــــدام يعــــزز عــــلى الــــلحاق

وإصــــحار بوجــــه الظــــلم كــــبراً
وغــــزو للــــســــماوات الطــــباق

رضــــيت الشــــعر ينزفــــني رويــــداً
ويكــــتبــــني بأحــــرفه الرشــــاق

ويعجنــــني بــــترب الأرض عــــلى
أذوب إذا تفجــــرت الســــواقى

فدمعــــى والدمــــاء وطــــين أرضــــى
هــــى الــــباقى إذا عز الــــتلاقى

مطهــــرة كغيمــــات حيــــارى
تــــباكر تــــربة ضمت رفــــاقى



يصعب على الدارس المتقصي أن
يحيط بالحياة الحافلة التي عاشها شاعرنا
الكبير الراحل عمر أبو ريشة، يكفي أن نذكر
أن هناك أكثر من دراسة استقطبت محورا
واحداً من محاور شعر أبي ريشة ألا وهو
(المرأة).

فقد كان أبو ريشة صاحب ريادة ذات
تميز في موضوعات ومراحل أساسية من
مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين:
- في التصميم البنيوي المتكامل للقصيدة،
وفي التتابع المنطقي لأبياتها وموضوعها
ومضامينها حتى خاتمة البيان.
- في شعر المقطوعة الصغيرة التي تقتصر
على فكرة أو إشراقة أو صورة:

قف في لا تخجلي مني
فما اشقاك أشقاني
كلنا مرر بالنعمة
مرور المستعب العاني
وغادرها كومض الشوق
في أحداق سكران
لنطو الأمس ونسدل
عليه ذيل نسيان
فإن أبصررتني ابتسمي
وحييني بتحسان
وسيري سير حالم
وقولي كان يهواني

ونحن هنا لا نحاول تقديم بيبلوغرافيا
عن حياة الشاعر، فهذه معلومات نشرت أكثر
من مرة، فحياته هنا حافلة خاصة وقد عمل في

عمر

أبو

ريشة

بقلم:

محمد علي سرحان

الثقافة

ويعدد ما يملكه من عناصر الخير والعطاء،
ويهدف مسحوراً بما لديه من فتنة:

يا بلادي وأنت نهلة ظمآن
وشبابة على فم شاعر
ويؤكد عصر أبو ريشة على الدور
الحضاري والرسالة الإنسانية للعرب فيقول:

أنا من بقايا أمة
هي والعلى من توأم
مرت على الدنيا مرور
القطر بالحقل الظمي
وتناقلت آيات رحمته
شـفاه الأتجم

ويبين من ناحية ثانية موقف العالم
المرحب بما قدمته الأمة العربية إلى الدنيا كلها
من قيم عليا، ومثل نبيلة حملها النبي العربي
صلى الله عليه وسلم منارة حب من قلب
الصحراء المقفرة إلى آفاق العالم الواسعة، ولم
تكن حضارة العرب مادية فقط، وإنما كانت
مادية وروحية في آن واحد.

من هنا شق الهدى أكماله
وتهادى موكباً في موكب
وأتى الدنيا فرقت طربا
وانتشت من عبقه المنسكب
وتغذت بالمروءات التي
عرفتها في فتاه العربي
أصيد ضاقت به صحراؤه
فأعدته لأفق أرحب

السلك الدبلوماسي وقد جال في قارات العالم،
وقابل الكثير من الشخصيات والزعماء، وكان
يستقن عدة لغات أجنبية كالإنكليزية والفرنسية
والألمانية والإسبانية ومعنى الإتقان عنده
"دراسة أدب هذه اللغات بنصوصها لا ترجمة
ولا مبسطة يسرة" وكان يكتب ويحاضر في
العديد من هذه اللغات.

وكانت قضايا الأمة والوطن من
الهموم الأساسية للشاعر، خاصة في فترة
النضال ضد الاحتلال والاستعمار والانتداب،
فقال يذكر الاحتلال:

وصحونا.. فإذا أعاقنا
مثقلات بقيود الأجنبي
وتحدث عن التجزئة والتمزق والظلم
فقال:

الشمـل بين مشـتت
ومـمـزق ومـثـلـم
والأرض مـأزال مـاد
الظـالم المـتظـلـم

وكان لأحد أناشيده الوطنية من
الذيع، ما لم يكن لسواه، إذ تلقفته أسماعهم
وتداولته ألسنتهم وحفظته قلوبهم.. وهذا
بعض منه:

في سبيل المجد والأوطان، نحيا ونبيد
كلنا ذو همّة شماء، جبار عنيد
لا تطيق السادة، الأحرار أطواق الحديد
إن عيش الذل والأرهاب أولى بالعبيد
لكنه لم يقتصر على الأناشيد وحدها،
فقد نظم القصائد والمقطوعات الكثيرة، يشيد
فيها بالوطن، ويشيد بما في ربوعه من جمال،

كان أبو ريشة مدرسة في شعره من حيث التأكيد على الكبرياء وعزة النفس، وحب المجد، وعشق المروءة والمعالي، وقد كان التاريخ أحد المصادر الموجبة بمثل هذه المشاعر والأخلاق، إذ ترسخت في نفسه صورة الأمجاد العربية، يوم كان العرب في فجر عزتهم، وازدهار حضارتهم فكان الإباء والشمم والنخوة، رايات عز، ترفرف على جدار كل بيت وفوق عرف كل حصان.

وكانت الصحراء العربية وروحها البدوية العنيفة أهم الينابيع التي استقى منها تلك القيم، لذلك فإن صور الصحراء وأسلفتها وملاحها، تتزأكى وهاجة في شعره، فيهدف بالرمال عبر نداء جريح:

أوقفي الركب يا رمال البيد

إنه تاه في مداك البعيد

ظمنت نوقه وجف فم الحادي

وغصت لهائنه بالنشيد

والأشداء يلهثون كخيل الغزو

عادت من يومها المشهود

وقد رسم الشاعر من خلال الإشادة بنماذج مثالية وعامة صوراً شعرية متألفة للشهيد والفدائي والجندي، ولم يقصد بهم أشخاصاً محددين أو معروفين يمتلكون أسماء وتواريخ وإنما رسم صورة مثالية لكل واحد منهم.

وكان عمر أبو ريشة من الأصوات الداعية لتحقيق الوحدة العربية ومواجهة التحديات وضمان قوة قادرة أمام القوى

المعادية، وقد اتفق معظم المفكرين والأدباء الذين برزوا في فترة ما بين الحربين - ومنهم أبو ريشة - على المناداة بتحقيق الوحدة العربية والتغني بالعرب والعروبة:

وجدودي المح الدهر على

ذكرهم يطوي جناحيه جلالة

بوركت صحراؤهم كم زخرت

بالمروءات رياحا ورمالا

حملوا الشرق سنا وسنى

وتخطوا ملعب الغرب نضالا

فنما المجد على آثارهم

وتحدى بعدما زالوا الزوالا

هؤلاء الصيد قومي فانتسب

إن تجد أكرم من قومي رجالا

وكان للشاعر اهتمام كبير بالقضية الفلسطينية، ونذكر بالمناسبة أن أمه من مواليد عكا، وقد شكلت هذه القضية أحد الموضوعات الأساسية في شعره، وكان يستثير في شعره الهمم العربية للدفاع عن عروبة فلسطين، وهو يقول في قصيدة (عرس المجد):

يا روابي القدس يا مجلى السنا

يا رؤى عيسى على جفن النبي

دون عليائك في الرحب المدى

صهلة الخيل ووهج القضب

وإذا وقفنا مع البعد الاجتماعي لشعر أبي ريشة فنجد أن موضوعات قصائده كانت

مستقلة أي أنه لا يخلط الخاص بالعام والفردى
بالجماعى والمجرد بالمحسوس والبعد
الاجتماعى بالبعد السياسى، والقومى
بالعاطفى، فنحن لا نجد لقصائده الوطنية أبعاداً
اجتماعية، ولا لقصائده الاجتماعية أبعاداً
وطنية أو قومية، وهكذا تكاد موضوعاته تبدو
مستقلة، وهذا ما دعاه إلى تبويب ديوانه فى
طبعته الأخيرة بحسب أغراضه ولا نستثنى من
هذا إلا قلة نادرة.

لقد نأى أبو ريشة عن المنحى
الوعظى القائم على الخطابية والذي رأيناه عند
صالح جودت أو عند أبى شبكة أو حتى عند
نزار قبانى، وقد ساعد أبو ريشة على التحرير
منه اهتمامه بالسرد القصصى فى جهة وتعمقه
فى التحليل النفسى من جهة أخرى، ففي إحدى
قصائده تتحدث امرأة عن تأنيب الضمير
والتشقى من النفس بتعذيبها واحتساء السم
حتى يتبدل كل حسن فيها بعد أن ضلت طريقها
القويم وصارت فى الدروب الموحشة.

حثت خطاي الحمر على هيكى القدس

وفى حماة الأرجاسى كفرت عن رجسى

دعونى أعب السم فى أكؤس الورى

واقضى على تلك البقية من حسى

وللطبيعة فى شعر أبى ريشة قصائد
وقصائد، الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة أو
الهامة.

والنموذج الأمثل لقصائده فى النوع
الثانى مطولته (معبد كاجراو) الذى زاره فى
الهند متأملاً تماثيله:

من منكما وهب الأمان

لأخيه، أنت أم الزمان؟

شقيت على أعتابك الغارات

وانتحررت هـوان

وتمزقت أملاكها

تاجاً ونضت صولجان

وبقيت وحدك فوق هذا

الصخر وقفة عنفوان

وفى قصيدته (أوغاريت) المدينة
السورية التى اكتشفت فيها أو أبجدية فى
التاريخ يقول:

أقبلت فالتفت الزمان

تلفت الممتوهم

والموت دونك واقف

فى زلّة المستسلم

فيم التمرد والوثوب

على القضاء المبرم

أتعبت من حلم الخلود

فشئت أن لا تحلمي

وفى قصيدته الرائعة (طلل) يقول:

لقد تعبت منه كف الدمار

وباتت تخاف اذى لمسه

هنا ينفذ الوهم أشباحه

وينتحر الموت فى يأسه

وفى قصائده عن الطبيعة الحية تتألق
قصيدته الشهيرة عن النسر الذى اعتبره
الشعراء رمزاً للشموخ والإباء والكبرياء:

أصبح السفح ملعباً للنسور

فاغضبى يا ذرى الجبال وثورى

إن للجرح صيحة فابعثها

في سماع الدنى فحيح سفير

واطرحي الكبرياء شلوا مدمى

تحت أقدام دهر ك السكير

لملمي يا ذرى الجبال بقايا النسر

وارمي بها صدور العصور

إنه لم يعد يحل جفن النجم

تيهاً بريشة المنثور

أما عن شعر المناسبات لدى أبي ريشة، فالمعروف أن آراء النقاد اختلفت حول شعر المناسبات العارضة والأحداث الطارئة وقد بدأ الرفض لهذا النوع من الشعر مع ظهور حركة التجديد التي قادها منذ أوائل هذا القرن عدد من النقاد أمثال ميخائيل نعيمة، والعقاد، وشكري، والمازني، وطه حسين، واعتبروه افتعالاً للشعر واحتلاباً به، وأنهم يفقد الشاعر حرية الإبداع والحافز الداخلي الذي لا غاية له، أما عند أبي ريشة فيمكن اعتبار معظم قصائده من شعر المناسبات، خاصة إذا اتفقنا على أن هذا الشعر هو الذي يكتب عادة ليلقى في المحافل العامة على مسامع الجماهير، فقصيدته (عرس المبرور) كانت من جلاء الفرنسيين عن سورية، وهو شعر من القضية الفلسطينية مرتبطة بالمناسبات، والإشارة إلى أن الشاعر تجاوز الأحداث الخصوصية الضيقة وعالج القضايا العامة من زاوية وطنية أو قومية شاملة.

كما أنه كتب في شعر المناسبات العامة مثل شعر التكريم أو الرثاء كالأخطل الصغير والمعري، والمتنبي، والصافي النجفي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم والقصائد التي

قيلت في زعماء سياسيين أو شهداء كقصائده في سعد الله الجابري وإبراهيم هنانو، وسعيد العاص، وفي رثاء والده له أبيات مؤثرة كتبت على قبره:

ناداك تحناني فما أسمعك

فأذهب فداك الشوق قلبي معك

صرنا معاً حيناً وخلفتني

وحدي على الدرب الذي ضيعك

أرنبو إلى الدنيا وأفاقها

فما أراها جاوزت مضجعك

ونظم أبو ريشة الشعر القصصي، وقد اتخذ الشاعر الأسلوب القصصي وسيلة لعرض موقفه القومي، وهكذا يمكن أن نصف هذه القصائد بـ (القصة الشعرية) ومنها قصائده: شقية، ليلة وكأس، جاندارك. ومنها قصيدته الشهيرة في ديك الجن الحمصي.

أما في المسرح الشعري فكانت محاولات أبي ريشة مبكرة، منذ نهاية العشرينات ومن مسرحياته الشعرية (ذي قار و محكمة الشعراء و الطوفان وتاج محل وسميراميس وأوبريت عذاب).

أما القصائد الملحمية فهي روائع في مسرحية الشاعر.

ومن شعره الملحمي قصيدته الشهيرة (محمد) الذي يستهلها الشاعر بهذا المطلع:

أي نجوى مخضلة النعماء

رددتها حناجر الصحراء

وهناك قصيدة (خالد) التي يبدوها بـ:

لا تنامي يا راويات الزمان

فهو لولاك موجة من دخان

تتوالى عصوره وبها منك

ظلال طرية الألوان

أبدا تبسم الحياة عليها

بسمة المظمئن للحدثان

اسمعيني حفيف أجنحة الإلهام

من أفقك القصي الداني

وانثري حولي الأساطير فالروح

على شبه غصة الظمان

حسبها أن أردّها لك من قلبي

صلاة ومن شفاهي أغاني

نصل أخيراً إلى شعر عمر أبي ريشة

والمرأة وهو محور مهم وأساسي في سيرته

الشعرية، وفي تقديره المرأة الأنثى، كإنسان لا

نجد في آلاف الأبيات التي نظمها إساءة

جائحة لها.. ولعل أقسى ما وجه إليها هذان

البيتان:

حكاية حبنا ختمت

فما أشجى وما أقسى

جميل منك أن تعفي

وأجمل منه أن أنسى

وهكذا نجد أن الشاعر لم يعرف المرأة،

ولم يجزئها، كما لم تكن لديه مثار عاطفة ولا

نزوة عيون، ولا دمية يلهو بها، إنما المرأة

عنده دنيا من الألق والعبق والجمال اللا

محدود السذّي أبي عليه كبره وولعه بالجمال
المطلق أن يشوّهه بالتحديد والاجتراء:

عرفت بك الله بعد الضلال

فدليل البديع على المبدع

وقوله:

لست أنت التي أضمتك بل دنيا

فتتون وعالمأ علويا

وقوله:

هويتك في غصة المؤمن

إلى جرعة من فم الكوثر

وهو يقول:

"عندما تقول المرأة.. أو شيء يجول

في خاطري الجمال والجمال له قدسية عندي،

لذلك ففي كل ما كتبت عن المرأة لم أرحها

قاسيت عنها، كثيراً من الشعراء يعري المرأة،

وفي رأيي يشوهون جمالها..

وانطلاقاً من احترام الشاعر للمرأة فقد

كان له رأي خاص في الزواج:

"الزواج عند الأكثرية الساحقة من

الناس أشباع للجوع الجنسي وتأمين حياة

مستقرة، ولكنني أرى فيه ثورة على الموت

وانتصارها عليه، فنحن نتزوج لننجب وما

ننجبه هو امتداد لوجودنا، فالزواج من هذه

الناحية أقدس رباط بين الرجل والمرأة".

في الطائفة التي امرأة حسناء فقال

فيها:

وثبت تستقرب النجم مجالا

وتهافت تحسب الذيل احتيالا

وحياي ربا ووجه باهر

أجمال؟ جل أن يسمى جمالا

قلت يا حسناء من أنت ومن

أي دوح أفرع الغصن ومالا

فأجابت: أنا من أندلس

جنة الدنيا عبيرا وظلالا

وجدودي ألمح الدهر على

آثارهم يطوي جناحيه جلالا

ملأوا الشرق سناء وسنى

وتخطوا ملعب الغرب نضالا

ولما كان جمال المرأة إلى زوال، فهذا

يحز في نفس الشاعر الذي يهوى الجمال
المطلق:

انهضي انهضي فلست أطيق

الحسن تذوي أزهاره في يديا

ويقول في قصيدته (عذراء):

واليوم جئتك لا صبا ولا كلفا

بل للجمال الذي يذوي اعريه

وإذا كان للمرأة في حياة الشعراء أثر

بارز منذ الجاهلية حتى اليوم.. وإذا كان هذا

الأثر متفاوتاً أو مختلفاً بين شاعر وآخر، فإن

تجربة عمر أبي ريشة مع المرأة تتعدى

المظهر والبهرج، على الرغم من أن بعض

النقاد لا يقبلون الحكم المطلق في مرحلة

الشباب يتسكع على أرصفة الحب حيث تواكب
الأنثى مسيرة حياته باستمرار فيغويه شيطان
الشعر للاقتراب من التوصيف الحسي:

تزلق الطرف على عنقها

وغاب في فجوتها يسر

وخصل الشعر على خصرها

فواحة تنشر ما تنشر

ولكنه سرعان ما يخرج من غواية

الغريزة إلى لقاء الروح:

فتعالى نطلق الروحين من

صورة الوهم ورئي ما وراءها

كملايين إذا ما التقيا

ما تعدت ثورة الشوق الشفاها

فنعب الكأس ربا بالمنى

ونبقي في فم الطهر شذاها

وهناك مثال آخر عن غواية المرأة،

وهو فيه لا يخلق لوحته الشعرية اعتماداً على

التناسق بين ألوان مختلفة، بل إنه يأخذ اللون

الواحد ويغير في شدته، ومن ثم يعمد إلى

التشكيل اللوني، وهذا يحتاج إلى مهارة أكبر

ولا سيما إذا كانت الألوان وحدات لغوية

وصوراً فنية ذات دلالة تنبع من نبع واحد.

يقول في قصيدة (حكاية سمار) وهو يخاطب

فتاة هي مثار الفتنة وبدعة الغواية:

أقبلت من صدر الربيع وقلت لي

أحبني.. أحبني يا شاعري

أنا بدعة الدنيا وسر خلودها

هتكت على عرى الحياة ستائري

حسنا لا تتقربي من خاطري

طوى البساط ونام جفن السامر

وفي سياق حديثه عن الحب يقول في قصيدته (لنا الحب):

لنا الحب والكأس والمزهر

وللناس منا الصدى المسكر

وخلف ملاعبنا أنجم

على شوق أو بتنا تسهر

فأخلاقنا يفظات الحياة

ووحى النفوس التي تشعر

ونحن من الأزل المطمئن

تبشر في يومنا الأعصر

أما صورة الحبيبة في شعر أبي ريشة، فهي كما يراها الرومانسيون ذات اتجاهين متقابلين، فهي إما ملك طاهر وإما شيطان مشؤوم:

طوقتها يا للشذا

مطوقاً مقبلاً

فما انتنت حائرة

ولا رنت تدللاً

ولا درت وجنتها

من خجل تبدا

كأنها في طهرها

أطهر من أن تخجلاً

وعلى الرغم من أن عمر أبا ريشة ليس ظاهرة فردية في اهتمامه بالمرأة (سابقة في القديم عمر بن أبي ربيعة وفي الحاضر نزار قباني) إلا أنه لم يقلد الآخرين في هذا الميدان، ولم يسر في ركبهم وظل على المدى الطويل منفرداً بخصائص كثيرة تميزه عن الشعراء الآخرين، فقد قسم حياته - كما يقول في شعره - قسمين متعادلين، وجعل عمره في كفتين متوازيتين، جمع الدنيا كلها في كفة، ووضع المرأة وحدها في الكفة الأخرى، وحمل ميزانه على حصان شعره ومضى في رحلته، فكانت رحلة شاقة، ملؤها الغصص الحري، والدموع، إذ نفذ زاده، وأوشك على الهلاك، لولا تعلله بالحداء يتزعم به شعراً ويتغنى به قوافي وأنغاماً:

هي والدنيا وما بينهما

غصصي الحري، وأهوائي العنيدة

رحلة للشوق لم أبلغ بها

ما أرتني من فراديس بعيدة

طال دربي وانتهى زادي له

ومضى عمري على ظهر قصيدة



حنين إلى الذكريات

شعر : عبد المجيد عرفة

غدوتُ مثلَ الذي في صدره حرجٌ
إذا تصعداً في العلياء يختنقُ
يطيبُ لي العيشُ في وادي حماة وفي
ضفاف عاصيه عذبُ الماء يسطفُ
والحورُ يهمسُ في أذني وتلثمُني
نسائمُ جانحها الورودُ والحبُّ
تسري مع الصبح من وادي حماة ومن
أريجها ذكرياتُ الأمس تنطلقُ
ودائراتُ علي العاصي تُسامرنِي
كالعاشقين إلى أن يبسمَ الشفقُ
إن غبتُ عن بلدي يوماً أذبُ الماءَ
ويكبرُ الهمُّ في جنبي والسنزقُ
فلا تلمني إذا روي بها التصقتُ
فالروحُ بالجسم منذ البدء تلتصقُ





جُنِبْتُ الْبِلَادَ وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ فِتْنٍ
تُغْـرِي؛ وَأَيَّاهَا بِالْحُسْنِ تَأْتِلِقُ
وَكَمْ تَنَازَعَنِي شَوْقِي إِلَى بَيْلَدِي
وَكَمْ تَنَاهَيْتَنِي التَّسْبِيحُ وَالْأَرْقُ
أَعِيشْ فِي غَرْبَتِي جَسَماً وَفِي وَطَنِي
يَعِيشْ قَلْبِي وَمَا بِالْبُعْدِ نَفْسُكَ تَرْقُ
يَهِيْمُ فِي طَرِيقِ الْمَاضِي وَيَكْتَبُ لِي
عَنْ ذِكْرِيَّاتِي وَإِنْ لَمْ يُسْـَـعِفِ الْوَرَقُ
فَأَقْرَأِ الصَّدْقَ يَرْوِي عَنْ طِفْلَتِنَا
وَاللِّبْرَاءَةِ فِي أَحْنَائِنَا أَلْسِقُ
كَأَنَّنِي بَيْنَ أَتْرَابِي أَسْـَـمَرُهُمْ
مَعَ الْعَشِيَّاتِ لَا هَمٌّ وَلَا قَلْقُ
فَكَمْ بَلَا سَبَبٍ نَذَكِّي مَشَاجِرَهُ
وَكَمْ بَلَا سَبَبٍ نَصَفُو وَنَتَّفَقُ
لَمْ يَسْلُبِ الْحَقُّ شَيْئاً مِنْ سَعَادَتِنَا
وَلَمْ يُصِيبْ قَلْبَنَا مِنْ بَطْشِهِ رَهَقُ
وَمَا عَرَفْنَاهُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ حَقَدُوا
وَسَعَرُوا نَارَهُ فِي الْعَيْشِ فَاحْتَرَقُوا
وَمَا (حِمَاةً) لَهُ أَرْضٌ وَلَا سَكَنُ
فَأَهْلُهَا مِنْ بَذْرِ الطَّيِّبِ قَدْ خُلِقُوا
قَفَوْتُ أَفْعَالَهُمْ فَازْدَادَ بِي شَرَفُ
لَمَّا نَأَى عَنِ فَوَادِي الزَّيْفِ وَالْمَلَقِ





إلى الـتي مـلكت رـوحـي مـحبـتـها
فصرت مـن بها هـاموا ومـن عشقوا
إلى الـتي مـلأت بالنور باصـرتي
حتى تـألق فيها الصـبح والغسق
إلى الألى عـلموني مـن أصـالتها
معنى الوفاء وفي تعلـيمهم صدقوا
إلى الذين لغـير الله ما سـجدوا
وغـير دين بُناة المـجد ما اعتـنقوا
إلى حمـاة وأهـلها وفتنـتها
اسـوق شـعري وبالأشـواق أحـترق
وفي نسائـمها أطفـي الـلظى وعـلى
ضـفافها أزرع الـسـجوى فتنبـثق
أعوذ أطـرق أبـواب الـرجاء بها
ولست أول مـن عـادوا ومـن طـرقوا
ذقت الـبـعاد وكأس العـيش جرّعـني
مرارة الـسـبين وانقـادت لي الطـرق
فليتـني ما هـجرت الدار عن طـمع
في العـيش؛ والصـب يكفي قلبه الـرمق
وليـتها تـرجع الـأيـام بأسـمة
وبالـبراءة والأحـلام تـأثـلق
لأهـل الخـب مـن وادي حمـاة ومـن
رياضـها للأمـاني الخـضر أنـطـلق



الدكتور عبد اللطيف اليونس مفكر
كبير، وسياسي لامع، وصحافي جريء وخطيب
مفوه، وناقد بارع، وشاعر مبدع وقد اجتمعت
هذه المواهب كلها في شخصيته الفذة.

ولد عبد اللطيف اليونس في بلدة "بيت
الشيخ يونس" التي تقع في الجنوب الغربي من
مدينة (صافيتا) بمحافظة طرطوس سنة
١٩١٤ وبلدته تحمل اسم عميد الأسرة العريقة
والشهيره بمركزها الديني والزمني المرموق،
وهي تنتمي إلى (آل ياسين) الكرام ويمتد
نسبها إلى "محمد بن اسحق التنوخي" أمير
اللاذقية.

نشأ عبد اللطيف في بيت عريق أنجب
العلماء والساسة والمجاهدين.

منذ طفولته وكان أساتذته يعهدون
إليه بأن يخطب باسم الطلاب في المواقف
الرسمية، وكانوا يعدّون له الكلمة سواء
بالعربية أم الفرنسية، ثم ظهرت موهبته
بالارتجال.

تلقى تعليمه على يد العلامة الشيخ
عبد الرحمن الخير (١٩٠٤ - ١٩٨٦)
والعلامة جبر ضومط (١٨٥٩ - ١٩٣٠).

توفي والده وهو لا يزال في الصفوف
الابتدائية.

كان والده شيخاً ورعاً تقياً، جليل
القدر، رفيع المقام، وكان برّاً ومحساناً.

تابع القراءة والمطالعة رغم الظروف
الصعبة التي واجهته بوفاة والده، حتى أصبح
مستواه الثقافي لا يقل عن مستوى خريجي
الجامعات.

الإمام

المكتور

عبد اللطيف

اليونس

بقلم:

يوسف عبد

الأحد

لقد تأثر بطائفة من الأدباء الكبار أمثال الأمير شكيب أرسلان وطه حسين ومحمد علي الحوماني ونجيب الريس ومن الشعراء المتنبي وأحمد شوقي وبدوي الجبل وبشارة الخوري وعمر أبو ريشة وإيليا أبو ماضي ونديم محمد والشاعر القروي وحامد حسن وغيرهم.

اقترن بابنة عمه في سن مبكرة وأنجبت له ابنتين هما (أمل) و (سمية).

عمل في التدريس في بلدة (وادي العيون) مدة سنة واحدة، ثم عمل رئيساً لتحرير جريدة (صوت الحق) التي كانت تصدر في اللاذقية، وكان صاحب الامتياز (عابد جمال الدين).

وفي عام ١٩٤٧ كلفه رئيس الجمهورية السابق شكري القوتلي بالتمثيل إلى أمريكا الجنوبية والبرازيل والأرجنتين للدعاية للقضية الفلسطينية، فلبى الدعوة وزار فنزويلا والبرازيل والأرجنتين والأوروغواي وتشيلي وألقى العديد من المحاضرات في الأندية والمحافل العربية، كشف فيها أطماع الصهيونية في الوطن العربي. انخبط إعجاب وتقدير المغتربين.

فاز في أواخر عام ١٩٤٩ بمجلس النواب عن منطقة صافيتا، وقد أحدث فوزه ضجة كبرى لأنه وقف في وجه الاقطاعية وتغلب عليها وفاز بثقة شعبية كبيرة، وبهذه المناسبة أرسل إليه الشاعر نديم محمد "هذين البيتين تعبيراً عن الواقع الاجتماعي في ذلك الظرف:

تهننتي.. لا بالذي أخذها

وتركها سيان عند الرجال

لكن.. لدرسٍ بالغٍ وحده

لقنته وحدك أهل الضلال

وفاز اليونس للمرة الثانية في

الانتخابات النيابية عام ١٩٥٤ وقام خلال الفترة

١٩٥٤ - ١٩٥٨ بنشاط كبير في مختلف

المجالات.

وفي عام ١٩٦١ فاز للمرة الثالثة

بالنيابة عن منطقة صافيتا.

وفي مطلع عام ١٩٦٤ سافر إلى

أمريكا الجنوبية وزار خلالها فنزويلا

والأرجنتين وتشيلي والبرازيل وأسس في

(سان باولو) جريدة (الأنباء) وكرسها للدعوة

إلى القضايا العربية والدفاع عن حقوق الأمة

والوطن وقضية فلسطين بصورة خاصة.

وفي عام ١٩٧٥ تنازل عن امتياز

الجريدة لصديقه الأستاذ نواف حردان.

ثم انتقل من البرازيل إلى الأرجنتين

تلبية لدعوة المغتربين فأسس فيها جريدة

"الوطن" التي صدرت باللغتين العربية

والإسبانية.

نبذة شهادة الدكتوراه من الجامعة الكاثوليكية

دعت الجامعة الكاثوليكية في

الأرجنتين الأديب الكبير عبد اللطيف اليونس

إلى لقاء محاضرات عن "الحضارة العربية وأثرها

في الجمهور" فوقف الدكتور فوسبيري رئيس

الجامعة وارتجل خطاباً تحدث فيه عن شخصية

وفكر عربي كانت هذه الشعوب هي التي بدأت به، وهناك الكثير من الرقم التاريخية سواء في بلاد ما بين النهرين أو عند الفراعنة أو في مختلف بقاع الأرض العربية هذا السجل الذي يدل على بداية الفكر الذي هو من هذا النوع عند العرب، إضافة إلى ما لم يسجل، وقد تداوله الناس تواتراً بل وسلم في بديهيات الفكر الاجتماعي، كما أنهم قد نقلوا أشعارهم شأنهم شأن بقية الأمم من جيل إلى جيل عبر الرواية الشفوية وقد دُونَ البعض الآخر وسلط الضوء على بعضها ولم يسلط على آخر، وهنا نأتي بمثلاً إذ كان يقال عن أهل الحيرة الذين كانوا يُعَنون بتدوين كتبهم وأخبارهم وأنسابهم في كتب ومخطوطات حتى أن النعمان قد أمر بنسخ أشعار العرب وبعد ذلك جمعت ودفنت في قصره حيث قُضت.

وهذا إن صح التعبير أو التسمية شيء من الصحافة المكتوبة، فتدوين الأخبار وتدوين الفكر والثقافة ليقرأها العامة إشارة إلى أن العرب كانوا الأوائل في الصحافة، وعندما جاء الإسلام بثورة في الفكر والعلم الذي يُكتشف من جنباته إلى يومنا هذا، وجاء ثورة في علم الاجتماع والقانون وكل مناحي الحياة التي كان للبشرية من خلال الإسلام نقطة تحول رهيبة أرقّت بالبشرية على منحا حضاري فكري، فكان تحولاً واضحاً في منظومة الفكر البشري الحضاري، ثم نقلوا ذلك عبر الفتوحات الإسلامية الكبرى إلى باقي بقاع العالم ونشروا العلوم الإنسانية والدين والفقه وحملوها إلى باقي الشعوب، وحثوا علماء الشعوب الأخرى

إلى السعي لفكرٍ منفتح وفتحوا الأفق للعقل بالتفكير والتعقل لإنتاج حضارات إنسانية تناسب التطور الإنساني، واكتشفوا قوانين الطبيعة، وقاموا بدراسة ظواهرها، فقد كان العصر العباسي بداية النهضة الفكرية بصيغتها الجديدة وانتقل الفكر وتعاطيه إلى المنابر الدينية والحلقات فاختص بالفقه والتفسير والعلوم القرآنية التي ينضوي تحت جناحها الكم الأكبر من العلم والفكر، وبالفتوحات وتواصل الشعوب ثم التواصل العلمي، فاختلط الفكر الشرقي مع الغربي، واختلط ما أبدعه العرب والإسلام مع بدائع أفلاطون وأرسطو وحكمة وفلسفة اليونان، وكان من المفروض أن يفرز ذلك رقي منقطع التنظير في المسائل الفكرية إذ حدث جزءاً منه في حقبة زمنية، لكنه أدى إلى بعض الفوضى والاختلاط، فأغرق المثقف عالمياً في فوضى الفكر.

ومن الملاحظ أن الأمور السياسية تأتي على تبعات بالفكر والعلم من كل جنباته، فقد أدت الاحتلالات وضعف الحالة السياسية إلى تأخر الفكر العربي مما أدى إلى تأخر العرب إلى ما نحن عليه.

وهنا لا بد من أن نشير إلى ضرورة نشأة ثورة ثقافية فكرية أو منظومة فكرية تحدد المراد منها في الفكر العربي مع هذا الكم من المثقفين والرواد والنخبة، لتقود العالم العربي إلى هوية ثقافية متحررة مستفيدة من التراث الزاخر فيكون لها بذلك مستقبل زاهر بإذن الله..

الوطن والطبيعة

في ديوان

"أغنيات قلب"

الشاعرة

مقبولة الشلق

بقلم:

أحمد سعيد هواش

من خلال قراءة ديوان "أغنيات قلب"
للشاعرة مقبولة الشلق نجد حب الوطن
والطبيعة ظاهرين في شعرها الرصين الذي
ضمه الديوان، وأول ما يطالعنا في الديوان،
قصيدتها "وجد" إذ قالت منها:

أنا من أهوى، وفي قلبي أوار
دائم الثورات، جيّاش السعير
قد رضعت الحب من أم روت لي
قصص الوجد على مرّ العصور
علّمتني أن للأوطان حقاً
في حياتي وفؤادي وضميري

تلك الأبيات هي فاتحة الديوان، وكذلك
هي فاتحة شعرها الوطني وشعارها الذي
سارت عليه في حياتها.
وكان قصيدتها الثانية اللاحقة مباشرة
للأولى "أحبك" أذ جاءت في ستة وعشرين بيتاً
بدأتها بكلمة "أحبك" وهي تعني الوطن، وهو
جدير بالحب.. فقالت:

أحبك منذ أبصرت، والحب يعظم
لغيرك لا أشدو، ولا أترنم
أحبك يا أبهى بلاد رأيته
وما لا ترى عيني، وما الخلق يعلم
إن الفيض من الحب للوطن وللبلاد
ينبع من قلب شاعرة مفعمة بحب بلادها، إنه
حب صوفي لوطنها لا تشارك فيه أي حبيب..
حب سام مقدس، تعتر به الشاعرة وتنعم ما
دامت حياة تعيش على تراب بلادها التي
أحبته:

بحبك أسمو ما حييت على الورى

بحبك أحيا باعتزاز وأنعم

وحبك في قلبي من الله شعلة

تؤج حماساً يعربياً وتقرم

وحبك أهدى للفؤاد هدية

إباءً على بغى العداة يدمدم

إنها وليفة تؤرح في حب البلاد
والأوطان، يؤجج أوار حبها العاطفة الصادقة،
والشاعرية الوقادة، والحب الذي يرافقه الإباء
والرفعة لغزة الوطن وحفظه من أعداء الوطن:

أحبك، لا أرضى غاصباً

أحبك، لا أرضى لحقك يهضم

وكل الأمانى، أن أراك عزيزة

وشعبك في أمجاد

وكما أحببت الشاعرة مقبولة الشلق
بلادها، فقد أحببت البلاد العربية أيضاً، لقد
أحبت لبنان، القطر الجميل المجاور لبلادها
الحبيبة سورية، أحببت الطبيعة الجميلة في
انطلياس، أحببت المياه الدافقة، والطبيعة
الساحرة، وهي الشاعرة.. فلنسمعها تغنى
علينا تلك الجلسة الشاعرية
انطلياس" إذ قالت:

توافدنا إلى روض يضم النبع نشوانا
يموج الحسن في صفصافة زهواً بلقيانا
ويسدل من غدايره غلالات وأروانا
تلامسنا بتحنان وتنسى القلب أشجانا

عرائشه ترينا الكون أزهاراً وأغصانا
ثريات منمنمة وأطواقاً وتيجاناً

ويمتزج حب الوطن والطبيعة معاً في
قصيدة "فرحة الشام" التي أهدتها إلى الشاعر
القروي في آب ١٩٥٨ بمناسبة عودته إلى
وطنه بعد اغترابه الطويل فقالت:

ماجت دمشق بنشوة وفخار

هل سجلت نصراً على الأقدار...؟

وجرى يفيض عذوبة وهناءة

بردى يفاخر أعظم الأنهار

وتتابع الشاعرة وصف فرحة الشام
حاضرة بني أمية، بقدم ابنها البار الشاعر
القروي المدنف بحب الشام والعرب فقالت:

فالحور والصفصاف في زهو الهوى

والورد بشر عاطر الأزهار

فتأرجحت ريح الرياض وشفقت

بانياسمين الفاتن المعطار

ثم تصف الشاعرة مقبولة الشلق
الصوت العربي، الذي صدح في المهجر مشيداً
بأمته العربية، إنه الشاعر القروي فقالت:

وشدا بساحر صوته مترنماً

بين المغاني صادخ الأطيّار

شمخت روابي قاسيون وأعلنت

عبر الفضاء بأسعد الأخبار

سكرت سهول القمح في حوراننا

فهل ارتوت خمراً بلا أمطار

وهل تنسى الشام أبناءها البررة؟ ومن

أحق بالحب من الشاعر القروي الذي رفع راية
العروبة عالية في المهجر!

في الشام عيداً بالمباهج حافل

أم ذاك عرس في دنى الأسحار..؟

وهل ينسى جبل العرب إشادة الشاعر

القروي ببطولة بني معروف وشجاعة سلطان
باشا الأطرش، إنه الجبل الأشم الوفي!!

فأجابني الجبل الأشم وضحة

من غيده كاللحن في الأوتار

الشاعر القروي عاد لأهله

عاد الوفي إلى حمى الأحرار

وما أجمل أن تتوحد الأمة العربية،

متمثلة بالقطرين العربيين الشقيقين مصر

وسورية في أول وحدة عربية في العصر

الحديث، في الثاني والعشرين من شباط لعام

١٩٥٨م، فقالت من قصيدة "وحدة الأوطان"

التي ألقتها في قصر الضيافة في الثالث

والعشرين من شهر شباط عام ١٩٥٨ أمام

الرئيس جمال عبد الناصر فقالت:

نورٌ يضيء الشرق في أرجائه

فكأنه نورٌ من الرحمن

وهكذا تستمر الشاعرة بالفرح إلى أن

قالت واصفة عناق الرئيسين شكري القوتلي

وجمال عبد الناصر اللذين مثلاً لتلاقي سورية
ومصر:

لما تعانق شكرنا و جمالنا

فكأنما يتعانق الشعبان

صدعا بأمنية القلوب وأعنا

رغم المكائد وحدة الأوطان

وفي الأحزان تفيض العواطف الجياشة

في حب الوطن، إنه الحب الأثوي، الذي

حملته الشاعرة مقبولة الشلق إلى عاصفة

العروبة دمشق، عندما انفصمت عرى الوحدة

الوليدة في أيلول ١٩٦٢ م فقالت:

فيحاء كم ذاقتم ملايين من

العيش الكريم، غمرتهم بهناء

ألفت ما بين الأحبة بعدما

طال الجوى، أسعدتهم بلقاء

فضممتهم ضم الرؤوم لصدرها

أطفالها في نشوة وصفاء

ثم تشير الشاعرة إلى محبي دمشق،

إلى الأبناء البررة الذين فدوها بأرواحهم:

عشاقها رفعوا لواء نضالهم

متسلحين بقوة ومضاء

قد صمموا أن تستعيد نموها

وتكون أعظم دوحة شمء

وستبقى دمشق - رغم ثخن الجراح -

عصية على الطامعين، شوكة في عيون

الحاقدين، إنها المنارة الساطعة التي يهتدي

بنورها الأحرار الأماجد..



من دفاتر كانون

شعر: أسامة معلا

دعيني أنهل من عينيك أشعاري
أنا المحاصر بين الثلج والنار
كانون.. يلهث.. فوق الشجر يا نغمًا
أما حننت؟ إلى قلبي وأسراري
أنفقت عمري للنجمات.. أجمعها
واليوم أحيانا بلا نجم وأقمار
حسب لعينيك.. أبكيه وأعبده
مثل الجمادات أحييها بأفكاري
أبست عري الفاتنات هوى
وقد كسيت هوى من وجهك العاري
والصدر كان جميلاً في تمنّعه
فكيف ألجم عن نهديك إعصاري..
هنا العبير.. مقيم في موطنه..
قد ضمن العطر في ثغري وأشعاري



قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء:
"المبرد كان إمام العربية ببغداد وإليه
انتهى علمها بعد طبقة الجرمي و المازني،
وكان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً، مليح
الأخبار ثقة فيما يرويهِ، كثير النوار فيه
ظرافة ولباقة".

إنه المبرد الذي ولد بالبصرة في
العاشر من ذي الحجة سنة ٢١٠ هـ ٢٥ آذار
٨٢٦ م ، و امتدت حياته ثلاثة أرباع قرن،
عاصر خلالها أحد عشر خليفة من خلفاء بني
العباس، أولهم المأمون وآخرهم المعتضد، وقد
عرفت الخلافة العباسية في عهود هؤلاء
الخلفاء وخاصة المتوكل اضطرابات ومحناً كان
لها أثر بعيد في الحياة السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والدينية والثقافية للعصر.

وعظم أمر بعضها مما أدى إلى
الثورات كالقرامطة والزنج، وأدت هذه الثورات
إلى إراقة الدماء مما أدى ذلك إلى ازدهار فن
الرثاء في هذا العصر، كذلك الحالة الاقتصادية
لم تكن أحسن حالاً، وهي جزء من الحالة
السياسية الغير متزنة، فالخلافة بدأ في جسمها
يدب الوهن، وعيوب الحاكمين بدأت تستفحل
فصار عامة الناس يتخبطون في البؤس
والحرمان والشقاء.

صارت هوة واسعة بين الحاكمين
والمحكومين، قال ياقوت:

المبرد

٢١٠-٢٨٥ هـ

٨٥٦-٨٩٨ م

وكتابه

التعازي و المراثي

شاهد عصر

بقلم:

محمد عيد الخربوطلي

"إن المتوكل أنفق في بناء قصوره الثلاثة (العروس والغريب والصباح) منتي وأربعة وتسعين ألف درهم، وأم المستعين نسجت بساطاً من الجواهر قيمته مئة وثلاثون مليوناً من الدنانير"

وقال ابن الأثير في الكامل:

"عثر على كنز لأم المعتز بعد مقتله لا يمكن إحصاء قيمته، وهكذا قلد الوزراء وكبار الموظفين والمحظوظون من الناس الخلفاء في مظاهر الترف والبذخ فورد أن ابن الفرات كان يأكل بملاعق من بلور كل لقمة بملعقة جديدة، وورد أن نساءهم كانت ترمي أحذيتها كل عشرة أيام بما فيها من مجوهرات، هذا التنافس في مظاهر الترف والبذخ نتج عنه انعدام الشعور بالمسؤولية العامة عند السواد الأعظم من القائمين على أمور الدولة والمسيرين لشؤونها الإدارية والعسكرية، وأصبحت مناصب الحكم سلماً لبلوغ المآرب الشخصية، وراجت تجارة الإرشاد".

وسيطر الجنود الأتراك على الخلافة وأمسكوا قهراً بزمامها، ولم يحاربوا عن عقيدة يوماً، وإنما عن جشع وطمع في المال، فصار بعض الخلفاء يفرغون خزانة الدولة عليهم إرضاء لهم.

وكان هذا الترف والتبذير على حساب الطبقات الشعبية التي كانت تتجرع مرارة الفقر والحرمان، وهذا كله أدى للثورات مثل ثورة الزنج (العبيد) وقد شهد المبرد هذه الثورة وروى في كتابه قصيدة لأبي ناظرة السدوسي

يرثي بها البصرة وحالها من جراء ما حل بها من فتنة الزنج، وهذا بدوره أدى إلى قسم المجتمع إلى قسمين خاصة وعامة، وكان الثراء نصيب الطائفة الأولى التي ضمت الخلفاء والأمراء والعمال والولاة وتارة الجيوش ومن لاذ بهم.

أما الطبقة الثانية فكانت تضم عامة الشعب، وكانت ضروباً من الفقر والجهل والشقاء.

ولما تفسخت الطبقة الأولى من كثرة بذخها وترفها شاع فيها الاستهتار وانتشر المجون وعرف الإلحاد ونشطت حركة الزندقة والشعوبية.

أما العلماء والأدباء فانقسموا إلى فئتين الأولى كانت محظوظة فاستطاعوا أن يدلّفوا إلى القصور، أما الثانية فكانت محرومة وصاروا يدرسون لقاء لقيّات تكفيهم وبعضهم كانت تأتيه هدية من فاضل كريم ومنهم كان صاحبنا "المبرد" رحمه الله تعالى.

ولكن وإن كان للفساد السياسي الذي أشرنا إليه آثار سلبية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، كان له آثار إيجابية على الحياة الفكرية والأدبية، لأن بعض الخلفاء والوزراء والولاة تنافسوا في اجتذاب الأدباء والعلماء، وإغداق الأموال عليهم، فنشطت الحركة الأدبية والعلمية نشاطاً لم تعرف له سابقة ولا لاحقة في تاريخ الحضارة الإسلامية، حتى عدّ القرن الثالث عند كثير من المؤرخين أزهى قرون الحضارة الإسلامية.

ففي هذا العصر تمت الترجمات من علوم الأمم الأخرى، وازدهر علم الرواية والنحو واللغة والأدب، و تأليف كتب التاريخ والجغرافيا وظهر فيه أئمة الحديث والفلسفة وعمالق الشعر، وكان المبرد من أئمة هذا العصر.

نشأة المبرد :

ولد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المعروف بالمبرد في البصرة ونسبه إلى ثمانية، وهي حي من الأزد ، لذلك يقال له - الثمالي الأزدي - وعرف بالمبرد وهو لقب اشتهر به على ما ذكره ياقوت والسيوطي أن المازني و- هو شيخ المبرد - لما صنف كتاب الألف واللام أخذ يسأله عن دقيقه وعويصه، فأجابه عن كل ما سألته عنه بأحسن جواب، فقال له المازني قم فأنت - المبرد - أي المثبت للحق.

لم تذكر المصادر شيئاً عن نشأته في صباه فهي فترة مهمة لكنها مبهمه، و لكن مما لا شك فيه أنه ظل يتردد خلالها على مجالس العلماء، وخاصة منهم النحاة والأدباء، وخاصة أن البصرة كانت يومذاك تعجُّ بكبار العلماء من كل فن.

شيوخه:

من أهم شيوخه بالبصرة أبو عثمان المازني، قال عنه المبرد:

"لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو والجرمي، وعنهما أخذ النحو". أما مشايخه في اللغة والأدب و رواية الشعر فكان على رأسهم الرياشي والترزي والسجستاني والمدائني، مع أنه تأثر كثيراً بأسلوب المدائني فلذلك يروي عنه كثيراً في الكامل والتعازي والمراثي.

ومع أن البصرة كانت مهداً لكثير من العلوم إلا أن المبرد لم يقترب منها، فبقي مولعاً بالثقافة العربية الصريحة من نحو ولغة وأدب ونوادر وأخبار، وبقي ملازماً لصحبة العلماء نحو ثلاثين سنة وهو يلم من علومهم ليبلغ ما بلغوه، بعد ذلك صار يدرس بالبصرة.

وفي سنة ٢٤٦هـ انتقل المبرد من البصرة إلى سُرّ من رأى بطلب من الخليفة المتوكل ليحكمه في آية قرآنية، اختلف هو ووزيره الفتح بن خاقان في قراءتها. وبقي فيها إلى مصرع المتوكل ووزيره، فرحل إلى بغداد، ودرس في مسجدها وكثرت طلابه حوله واشتهر، مما أدى إلى حقد البعض عليه ومنهم ثعلب وكان قبل المبرد كبير شيوخ بغداد ولكن نafسه المبرد في ذلك فحصل العداء بينهما وصار مضرب المثل وقيل فيه الأشعار. وبرز المبرد على ثعلب لأن ثعلبا كان مذهبه مذهب المعلمين، أما المبرد فكان صاحب عبارة حسنة، وإشارة حلوة، و لسان فصيح، وبيان ظاهر، كما قال الصولي يصفه:

"وكان حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر، وكان من العلم وكثرة الحفظ،

وحسن الإشارة وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة وجودة الخط، وصحة القريحة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه.

ولذلك كثر الناس حوله، وذاعت شهرته، حتى أخذ يتجاذبه أهل الفضل والعلم والجاه كقاضي القضاة اسماعيل بن اسحاق الأزدي توفي ٢٨٢هـ الذي حزن عليه المبرد حزناً شديداً عند وفاته.

تلامذته:

بقي المبرد يدرس في بغداد زهاء أربعين سنة، فتخرج عليه خلق كثير من فطاحل العلماء ولعل أشهرهم أبو اسحاق الزجاج، والأخفش الصغير، وابن درستويه، وابن السراج والصولي، و نفطويه وغيرهم.

وفاته:

توفي المبرد في سنة ٢٨٥هـ في آخر ذي الحجة - ٨٩٨ م وعاش خمسا وسبعين سنة.

مؤلفاته:

خلف المبرد للمكتبة العربية عشرات الكتب، أحصاها ياقوت في معجم الأدباء وابن

النديم وبروكلمان فبلغت خمسين كتاباً، وقد أوردتها مجموعة الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمة "رسالة البلاغة" للمبرد التي حققها. منها الكامل، وقد طبع والفاضل ونسب عدنان وقحطان والمقتضب والبلاغة والمذكر والمؤنث والروضة والمقرب على ما ذكر في الأعلام والتعازي والمراثي.

كتاب التعازي والمراثي:

كما ذكرت أن كتاب التعازي والمراثي للمبرد يعد ديواناً في بابه، وفريداً في نوعه، وقد وضعه سنة ٢٨٢هـ ويتضمن مواضيع في العزاء والرتاء وساق فيه مجموعة من عيون المراثي التي فاضت بها قرائح الفحول من الشعراء الجاهليين والإسلاميين الذين سبقوه أو عاصروه، وساق فيه مواعظ وخطباً وأقوالاً مأثورة، ووصايا بعضها تؤثر عن أهل الدين، وبعضها من أهل الأدب. وسبب تأليفه للكتاب هو حزنه على وفاة صديقه قاضي القضاة إسماعيل بن اسحاق الأزدي الذي توفي ٢٨٢هـ، وكان صديقه الحميم وقد خسر بوفاته فضله وعلمه فقد كان فقيهاً عالماً، قد صنف عدة كتب في مذهب الإمام مالك وعدة كتب في التفسير وعلوم القرآن وكان من بيت علم وفقه وحديث فكان عالماً شامخاً في العراق، وهذا الحزن العميق أثر به فمضى يعزي نفسه بتأليف كتاب التعازي والمراثي. وقد صرح بذلك المبرد في مقدمة كتابه، وجاء

كتابه جيداً بانتقائه للنصوص الأدبية الرفيعة، وخاصة أن الرثاء من أهم الأغراض الشعرية وأشدّها وقعاً في النفوس، لأن الذي يرثي يقول وكبده يحترق فيأتي كلامه صادقاً.

هذا هو السبب الرئيسي لتأليفه للكتاب، ولكن هناك أسباباً أخرى منها ما دعتّه إليه من إراقة الدماء إثر الفتن في الظروف السياسية التي تكلمت عنها في العصر العباسي. كل هذا أدى إلى ازدهار أدب الرثاء، ودعت شيوخ الأدب والرواية إلى أن يفرّدوا له التآليف الخاصة، أو أن يخصصوا له فصولاً مهمة من كتبهم الأدبية، فقد صنف أبو الحسن المدائني كتاب التعازي، وألف المرزباني كتاب المراثي، وابن قتيبة خصص فصولاً في عيون الأخبار كما فعل ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد، لذلك من الطبيعي أن ترتاح نفوس البشر في عصور القتل والفتن وإراقة الدماء للتعازي والمراثي.

مصادر الكتاب :

مصادر المبرد في كتابه ما رواه عن شيوخه في هذا الفن خاصة عن أبي الحسن المدائني الذي ألف قبله كتاب التعازي وقد أعجب المبرد به إعجاباً كبيراً ونقل عنه، ومن مصادره ما سمعه من معاصريه من ذوي الحلم

والرأي والفضل مما يتصل بأدب الرثاء والعزاء .

قيمة الكتاب :

رأيت من المفيد أن أختتم بحثي هذا ببعض أطراف قيمة الكتاب ومنها: أنه كتاب يبحث موضوعاً واحداً وهو العزاء والرثاء وخاصة أن نصوصه الشعرية والنثرية منتقاة بذوق أدبي رفيع. هو كتاب يعزي ويسلي المصاب.

موضوع التعازي والمراثي لم يعد يهم الأديب وحده، ولا المتعشق للأدب أو المعزى فحسب، إنما أصبح يهم أصحاب الدراسات الإنسانية الأخرى، كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع لخدمتهم على كشف بعض جوانب النفس الإنسانية في بيئة معينة وزمان معين.

وللكتاب قيمة تاريخية، فهو يروي أخباراً وقعت قبله أو حدثه بها من شاهدها أو عاصرها هو بنفسه، فهذه الأخبار تعيننا على رصد كثير من جوانب المجتمع العربي المسلم في تلك العصور.

وينفرد كتاب التعازي والمراثي بقيمة أدبية بما تفرد به من نصوص شعرية ونثرية لم نجدها في غيره من المراجع فيصبح الكتاب مرجعاً لكثير من النصوص النفيسة التي ضاعت أصولها فلم تصلنا.



يا زمان الوصل

شعر : لسان الدين بن الخطيب

يا زمان الوصل بالأندلس
في الكرى أو خلصة المختلس

جاءك الغيث إذا الغيث همي
لم يكن وصالك إلا حُلما

* * *

ننقل الخطو على ما ترسم
مثما يدعو الحجيج الموسم
فتغور الزهر فيه تبسم

إذ يقود الدهر أشتات المني
زَمَرا بين فيردى وثنا
والحيا قد جَلَّ الروض سنا

كيف يروى مالك عن أنس
يزدهي منه بأبهى ملبس

وروى النعمان عن ماء السِما
فكساه الحسن ثوبا معلما

* * *

بالدجى لولا شمس الغرر
مستقيم السير سعد الأثر
أنه مر كالمح البصر

في ليال كتمت سر أنهي
مال نجم الكأس فيها وهوى
وطر ما فيه من عيب سوى

هجم الصبح هجوم الحرس
أثرت فينا عيون النرجس

حين لذ النوم شيئا أو كما
غارت الشهب بنا أو ربما

* * *

فيكون الروض قد مكن فيه
أمنت من مكره ما تنقيه
وخلا كل خليل بأخيه

أي شيء لامرئ قد خلصا
تنهب الأزهار فيه الفرصا
فإذا الماء تناجى والحمما

يكتسي من غيظه ما يكتسي
يسرق السمع بأذنى فرس

تبصر الورد غيورا برما
وترى الآس لييبا فهمما

* * *





يا أهيل الحي من وادي الغضا
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا
فأعيدوا عهد أنس قد مضى

وبقلبي مسكن أنتم به
لا أبالي شرقه من غربه
تعتقوا عبدكم من كربه

واتقوا الله، وأحيوا مغرما
حبس القلب عليكم كرما

يتلاشى نفساً في نفس
أفترضون عفاء الحبس

* * *

وبقلبي منكم مقرب
قمر أطلع منه المغرب
قد تساوى محسن أو مذنب

بأحاديث المني وهو بعيد
شقة المضني به وهو سعيد
في هواه بين وعد وعيد

أحور المقلة معسول اللمى
سد السهم فأصمى إذ رمى

جال في النفس مجال النفس
بفؤادي نبلة المفترس

* * *

إن يكن جار وخاب الأمل
فهو للنفس حبيب أول
أمره مغمم ممتثل

ففؤاد الصب بالشوق يذوب
ليس في الحب لمحبوب ذنوب
في ضلوع قد براها وقلوب

حكم إلحظ به فاحتكما
ينصف المظلوم ممن ظلما

لم يراقب في ضعاف الأنفس
ويجازي البر منها والمسي

* * *

ما لقلبي كلما هبت صبا
جلب الهم إليه والوصبا
كان في اللوح له مكتبا

عاده عيد من الشوق جديد
فهو للأشجان في جهد جهيد
قوله: إن عذابي لشديد

لاعج في أضلعي قد أضرمنا
لم يدع في مهجتي إلا ذمنا

فهي نار في هشيم اليأس
كبقاء الصبح بعد الغلس



سورة

التَّارِيخُ - التَّارِيخُ
الْجَمَالُ - الْجَمَالُ
تفتح ذراعيها لاستقبال
من كافة أنحاء العالم

مع تحركات وزارة الامتلا

سورية

الأوابد تحكي



والتاريخ .. يزهو

وزارة الإعلام
المؤسسة العربية للإعلان

طالعوا صباح كل سبت

الأسبوعية

الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق